أَصَابَنِي عِشقٌ

رواية

منة الله رأفت



دار اكتب للنشر والتوزيع

أصابني عشق

أصابني عشق

منةالله رأفت

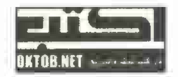
الطبعة الثانية ، القاهرة 2018م

غلاف: أحمد فرج

تدقيق لغوي: خالد رجب عواد

رقم الإيداع: 15191 / 2018

I.S.B.N: 978- 977- 488-582-2



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان: 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف: 01111947957

بريد إلكتروني: daroktob1@yahoo.com

إهداء

إهداء إلى كل من منحني السعادة.

إلى أصحاب البسمة الناصعة.. الذين يتمنون الخير لمن حولهم.

إلى بائعي البهجة والسعادة.

إلى حاملي مشاق الحياة ولم ييأسوا بعد.

إلى عُشّاق رائحة الكتب.

إلى الذين تلمّسوا حرارة كلماتهم قبل أن تخرج من أفواههم.

إلى من تمنى- يوماً ما- أن يرى أمي كاتبه.. أُحقّق لك تلك الأمنيه يا جدي.

أتمنى لكم وقتًا ممتعًا وحياة سعيدة.

إليك أيها القاريء..

سأتركك لتتعمَّق بين سطور الرواية؛ لتتعرف إلى نفسك في أحد أبطالها؛ لتتعرف إلى التحديات والصعوبات التي تواجهها بمفردك.. عن الأحاديث التي لا تستطيع البوح بها. عن حياتك وأفكارك. وعندما تنتهي منها ستتفاجأ من نفسك. من ذلك الشخص الذي تحوَّلت إليه فكريًّا، وتسعد جدًا لتغيير نظرتك وفكرتك في الحياة.

وفي النهاية، عزيزي القارئ، أتمنى لك قراءة ممتعة.

منة الله رأفت

(1)

الإثنين.. درجة الحرارة 32°

تُداعب خيوط الشمس عينيها.. تدعوها للنهوض لتحيا يومًا جديدًا.

تنهض بخطًى متثاقلة، والابتسامة تُغلّف ملامحها، وعبارات السعادة تملأ ثغرها، حتى تبدو وكأنها تودُّ إسعاد من حولها.. تعجز عن رسم الحزن والضيق على ملامحها، ليس لأنها لا تواجه الصعوبات، ولكن ثقة بأن القادم دومًا أجمل.

تنتظر بكل تَحفز كلمةً من أي شخص لتملأه بالتفاؤل والأمل.

تستيقظ هي بنشاط لتتوضأ وتدعو الله أن يسعد قلبها ومن حولها وأن يلهمها الصواب في جميع أمورها.

إنها "تقى"، فتاة في مُقتبَل العمر تتميز بابتسامتها الجذابة وشخصيتها اللطيفة التي تجعل الكل يُميِّزها عن غيرها، ويُكلِّلها كالتاج فوق رأسه.

تُشبه البحر كثيرًا خارجها، هادئ وأنيق وداخلها عالم عميق، يلجأ إليها كلّ مهموم وكلّ حزين وحتى كل عاشق؛ فهي تبعث الراحة

والطمأنينة والهدوء، في نفوس من حولها، يشكو الجميع إليها همومهم وأحزانهم، تشاركهم أفراحهم وأحزانهم.

تقبع تقى ووالدهّا بمنطقة راقية جدًّا بحي مليء بالزهور، تتميز بمناظرها الخلابة، وبها أزهار متنوعة الأشكال والأنواع وأشجارها عإليه جدًّا وثمارها يانعة توحي أنها لذيذة وطازجة يجب أكلها فورًا، وعلى أغصانها عصافير مغردة، وبها أعشاش كثيرة تغرد ألحانًا شجية يُطربك سماع غنائها وتغريدها، وهو منزل جدها.

فتحت تقى خزانتها لترتدي ملابس رياضية زهرية اللون تتناسب مع بشرتها الوردية، وخرجت من غرفتها لتتفاجأ بوجود خالتها، فتهرول إليها والسعادة تملأ وجهها لتسلم عليها وتظلّ في حضنها الدافئ. كم تشعر معها تقى بالحب والدفء! فهي كوالدها تمامًا، حنون وعطوف جدًّا معها. إنها (حنين) شقيقة والدها ورفيقة دربها.

جلست الشقيقتان وتقى على السفرة لتناول وجبة الإفطار، فكانت مليئة بشتى أنواع الفواكه والخضراوات التي مازالتا يعشقانها منذ الصغر، وجلستا تمزحان معًا وتتحدثان عن طفولتهما، بينما ذهبت تقى إلى عالم آخر سبحت في خيالها، وظل ذلك السؤال يطرح في مخيّلتها، وظلت تفكر حتى شعرت بأن هناك حربًا تُقيم في عقلها، فقرّرت أن تطرح ذلك السؤال على والدها وخالتها، فقررت أن تقطع حديثهما:

– أنا عاوزه أسأل سؤال ممكن؟

(2)

وجلستا تمزحان معًا، وتتحدثان عن طفولتهما، بينما ذهبت تقى إلى عالم آخر سبحت في خيالها، وظل ذلك السؤال يطرح في مخيلاتها، وظلت تفكر حتى شعرت بأن هناك حربًا تُقيم في عقلها، فقرَّرت أن تطرح ذلك السؤال على والدها وخالتها، فقررت أن تقطع حديثهما:

– أنا عاوزه أسأل سؤال ممكن؟

ردّت الأم قائلة:

– أكيد طبعًا يا حبيبتي.

– هو ليه دايمًا في صراع بين العقل والقلب؟

دُهشت الشقيقتان من ذلك السؤال، وساد الصمت بينهما مدة دقائق، فأردفت "حنين" قائلة ولكن قاطعتها تقى:

– ليه دايمًا مش بيتفقوا؟ ليه عاملين زي توم&جيري؟

وساد الصمت بينهنّ جميعًا، وظللنَ ينقلن النظر فيما بينهنّ، فقطعت تقى ذلك الصمت قائلة بصوت حزين:

- هو للدرجة دي السؤال صعب؟ للدرجة دي السؤال معقد وملهوش إجابة؟

نظرت "حنين" لشقيقتها "عشق" وقررت أن تُجيب عن سؤال "تقى" فأردفت قائلة:

- إجابة سؤالك عندي، وعند عشق بس الأول هحكيلك قصتنا اللي بيها هتوصلك الإجابة، موافقة؟!

- لو ده هيوصلّني للإجابة فأنا عاوزه أسمع.

تدخّلت "عشق" قائلة ببسمة:

- حيث كده تعالوا نقعد في الجنينة ونتكلّم براحتنا.

وذهبن إلى الحديقة التي تجلب الراحة والسعادة لكل من يجلس بها، وبدأ كل من "حنين" و"عشق" تقصان حكايتهما لــ"تقى"

كان يا مكان.. منذ "25" عام

***

(3)

في أرقى شركات الديكور يجلس أحد رجال الأعمال على مقعده الوثير وأمامه مكتبه الفخم البُني اللامع وغرفة المكتب المزودة بأرقى أنواع الأثاث، لُيراجع بعض الأوراق المهمة، وفجأة يُمسك الهاتف ليقول بصوته الأجش:

- اطلبي آنسة "حنين"، وبلّغيها إني عاوزها حالًا.

- حاضر يا مستر "خالد".

وبالفعل طلبت السكرتيرة من "حنين" الحضور فورًا لأمر مهمٌ.

طرقت "حنين" باب المكتب وأذِنَ لها "خالد" بالدخول.

جلست"حنين" على المقعد المواجه له، وظلت محدقةً إليه برهةً، ولكنه لم يُعِرها اهتماما حيث كان منغمسًا في عمله ففضل الصمت برهةً، ثم عدل من وضعية نظارته الطبية الفاخرة وقال:

- إزيّك يا آنسة "حنين"؟

- تمام الحمد لله.

- طبعًا إنتِ عارفه إن لينا فروع كتير لشركتنا.

- أيوه طبعًا.

أنا رشّحتك لفرع شركتنا اللي في إسكندرية وقدامك يومين وتكوني هناك.

فقالت بدهشة ممزوجة بالسعادة:

- بجد يا مستر "خالد"؟

- أكيد، وأعتقد إن مافيش أي مشاكل الشركة هتوفرلك مكان للإقامة وعربية للسفر وهيكون معاكي سواق، وطبعًا "سلمى" هتكون معاكي كمساعدة، وهيبقى معاكي موظفين عشان الشغل ينتهي في أسرع وقت.

نظرت إليه "حنين" بنظرات متفائلة وقالت بنبرة جادة:

- تمام، أنا هحضّر نفسي وهحضر كل حاجة هحتاجها معايا.

- وأنا واثق إنك هتطّلعي أحلى شغل وخصوصًا إن شركتنا واقفة على شغلك اللي جاي مع العميل ده.

- وأنا هكون عند حسن ظن حضرتك.

- تمام اتفضلي.

خرجت "حنين" من المكتب وهي في غاية سعادتها وظلت تحمد الله على ما هي فيه الآن، وظلت منهمكة في عملها وهي سعيدة حتى حان وقت

الانصراف.. فاستقلّت سيارتها، وهي تدندن حتى وصلت إلى مكانها المنشود (المنزل).

"حنين شريف الشرقاوي"، صاحبة الخمسة والعشرين عامًا.

أكرمها الله بملامح رائعة الجمال،أنف دقيق وعين بنية وشعر أسود ناصع الجمال، تخفي جماله وراء حجابها. هي شخصية عنيدة جدًّا.

عندها إصرار على كل ما تريد مهما يكلفها هذا الأمر من تضحيات، تعشق عملها فهو لها كالهواء الذي تتنفسه، ولا تستطيع العيش دونه.

لم يحالفها الحظ في الزواج رغم تقدم الكثيرين لخطبتها، ولكنها كانت تبحث عن الشريك المثالي الذي يضيف إليها، وليس ذلك الزوج العادي الذي يصبح لاحقًا عبئًا عليها. فهي امرأة ناجحة ومُستقلة تلتفت إليها كثير من العيون، ولكنها تأبى معنى (الحب)، فشاغلها الوحيد هو مستقبلها وعملها وكيانها ونفسها ثم نفسها ثم نفسها لا غير.

***

دلفت "حنين" إلى المنزل ثم قالت بصوتٍ عالٍ:

– أنا فرحاااااانة أوي يا بشر.

فخرجت شقيقتها التي تصغرها في السن من الغرفة قائلة بشكٍّ:

– دايمًا يا حبيبتي بس إيه اللي مخليكي سعيدة أووي؟

- حزّري فزري كده يا عشق.

- اممم جالك عريس؟

فردّت عليها "حنين" متأففة:

- أووف، إنتِ مش بتفكري غير في كده.

فقال والدها:

- يبقى أكيد حاجة تخص الشغل اللي تخلي بنتي سعيدة كده.

- فاهمني دايمًا يا بابا.. أصل أنا هسافر إسكندرية عشان عندي شغل بش مش ده اللي باسطني أووي كده.. لأ، أنا مبسوطة إن أنا مميزة بين زمايلى.. أصل أنا مش هدفي إني أشتغل وخلاص، فاهمني يا بابا؟!

فقال والبسمة تملأ وجهه:

- فاهمك يا بنتي فاهمك.

وظلّت "عشق" صامتة حتى طرأت فكرة في عقلها،فقالت بحماسة:

- طيب إيه رأيك تاخدينا معاكي يا "حنين" أتفسح أنا وبابا وإنتِ خلّصي شغلك.

- امممم والله فكرة حلوة، إيه رأيك يا بابا؟

فقال والدها:

- لا يا بنتي ده شغل روحي خلصي اللي وراكي وإحنا خلينا هنا عشان مانعطلكيش عن اللي وراكي.

فقالت "عشق" بحزن:

– يا بابا عشان خاطري الجامعة هتبدأ كمان أسبوعين، وأنا ماتفسّحتش خالص.

وظلت تردد:

– بليز، عشان خاطري.

فقال والدها:

– أعمل فيكي إيه بس وإنتِ آخر العنقود كده ومجنناني معاكي.

فقطعت "حنين" حديثهما قائلة:

– خلاص السفر بعد يومين حضّروا نفسكوا،وأنا هطلبلكوا أوبر وتبقوا ماشيين معانا.

فقال الأب:

– أمري لله.

وظلت "عشق" تصرخ من الفرحة لأنها ستُرفّه عن نفسها وتترفه في عروس البحر.

***

قضت "عشق" معظم ليلتها، وهي مستيقظة على فراشها تطالع سقف الغرفة وقالت بنبرة متمهلة:

– الرحلة دي لازم تكون حاجة واااو كده.

وظلت ترتب في مخيلتها كيف ستقضيها، وماذا ستفعل، وتوقفت عن التفكير لبرهة واعتدلت في نومتها وغطت في سبات عميق.

***

"عشق شريف الشرقاوي"، صاحبة العشرين عامًا.. فتاة جامعية، لها أنف دقيق وعين بنية، وجهها جميل مستدير كأنه قمر مستنير، وابتسامتها كالورد تزهو.. شعرها بني صبغت هي بعض خصلاته.. تعشق الموضة وتتبع صيحاتها دائمًا.. يقولون عنها في الجامعة إنها فتاة طائشة حيث إن لها قصص حبٍّ كثيرة، ودائمًا محكوم عليها بالفشل.

***

استيقظت الفتاتان وكلهما حيوية ونشاط..أعدا فطورًا شهيًّا، ظلتا تمزحان معًا، وكان والدهما "شريف" سعيدًا جدًّا بهما، سعيدًا جدًّا بـ"حنين" المتفوقة التي تسعى دائمًا إلى ما تريد، وبتفوقها في عملها للحد الذي لا حد له، فهي عانت منذ الصغر وها هي سعيدة الآن.. فحقًا (وبشِّر الصابرين)، و"عشق" فتاته الصغيرة المدللة وما يُسمى بـ(آخر العنقود) فتاة جامعية، فهي مجنونة أحيانًا وحلمها أن تعمل في شركة ترجمة.

استأذنت كلٌّ من "حنين" و"عشق" والدهما لتخرجا لشراء بعض الملابس، فوافق والدهما، وطلب منهما ألَّا تتأخرا حتى ينتهيا من إعداد حقائبهما، وأن تُحضر "حنين" الأوراق التي ستحتاجها في عملها، وكل ما يخُصُّ ذلك.

ذهبت كلٌ من "حنين"، و"عشق" لتبدلّا ملابسهما، وتستعدّا للذهاب إلى المول لشراء بعض الملابس التي سيحتاجاها في تلك النزهة.. استقلا سيارة "حنين" الفارهة، وعند وصولهما إلى المول قالت "عشق" باندهاش:

- واااااااااو بصي يا حنين المحل ده.

- ماله عادي يعني.

- يا بنتي ده كل حاجة جديدة فيه.

وسحبتها من يدها خلفها إلى ذلك المحل، وظلت تنتقي منه بعض الملابس لها وحنين تقف متأففة، وصاحت بها:

- يا بنتي ما تلبسي زي باقي الخلق، إيه اللي إنتِ مختاراه ده؟

- يا بنتي إنتِ مش فاهمة ده سيلوبت جيتر تحفة.

ووضعته عليها قائلة:

- بُصّي حتى.

ابتسمت لها "حنين"، وظلت معها حتى انتهت من شراء ما تحتاجه، وذهبتا إلى مكان آخر حتى تنتقي منه "حنين" ملابسها الكلاسيكية الملائمة لعملها، وعند خروجهما من المتجر وقفت "عشق" فاغرة شفتيها ووقفت كالصنم لا تتحرك ولا تسمع ولاحظت "حنين" ذلك فقالت لها بصوت عالٍ:

- مالِك يا عشق إنتِ واقفة كده ليه؟

لم ترد عليها حيث ذهبت إلى عالم آخر وبدأت دموعها تنسال على وجنتيها.. فأمسكتها "حنين" من يدها وأخذتها لتستقلا السيارة، ظلت "حنين" تسألها ما بها، أما هى فقد ألجم لسانها عن الرد وظلت تبكي فقط.

حتى وصلتا إلى المنزل، وعند دخولهما هرولت "عشق" إلى غرفتها وأحكمت غلق الباب وراءها حتى لا يسألها أحد ما بها وتسرد لهما ماذا يحدث ثم تنتهي بكلمة "معلش" فهي لها كلمة لعينة تكرهها جدًّا.

تعجّبت "حنين" من أفعال شقيقتها غير المفهومة، فصمّمت أن تتحدّث معها وبعد عناء طويل أذنت لها "عشق" أن تدخل لترى ما بها؟

فسألتها "حنين" قائلة:

- مالك يا عشق بتعيّطي ليه؟

***

(4)

تعجبت "حنين" من أفعال شقيقتها غير المفهومة، فصمّمت أن تتحدّث معها وبعد عناء طويل أذنت لها "عشق" أن تدخل لترى ما بها؟

فسألتها "حنين" قائلة:

- مالك يا عشق بتعيّطي ليه؟

فارتمت في أحضانها، وقال بشهقة من كثرة البكاء:

- شفت كريم، أيوه شوفته، وشايل ابنه كمان.

فسألتها "حنين":

- كريم أحمد؟

- لا.

- طيب، كريم هاني؟

- بردو لا.

فقالت مستفهمة:

- أمال كريم مين؟ هو في غير دول أصلًا.

- أيوه يا بنتي، كريم أدهم.

- يخربيتك كل دول تعرفيهم.

صمتت برهة ثم سألتها:

- إيه اللي مضايقك بردو مش فاهمة؟

- أول شخص حبيته في حياتي كلها، كنت بحبه أكتر من نفسي نسيني خالص وعايش حياته، إتجوز ومعاه بيبي زي القمر.

- أديكي قلتي "كنتي" خلاص ماضي إهدي بقى وإعقلي، وبعدين ما إنتِ حبيتي يجي 100 واحد بعديه، يعني يخربيت كده.

فردّت عليها مُقَهْقِهَةً:

- خلاص بقى إنتِ فصيلة، أووي والله.

- لما تلاقي حد بيحبك بجد إتمسكي بيه جدًّا.

قالت مازحة:

- لا هو يجي بس، وأنا همسك فيه بإيدي، وسناني.

ضحكت الفتاتان، وقامت كلٌ منهما بتحضير ما سيحتاجانه وأحضرتا حقائبهما وحقيبة والدهما "شريف".

كانت "حنين" تُرتّب أشياءها بدقة، وحرصت على جمع كل ما ستحتاجه في عملها، وهاتفت "سلمى" وهي مساعدتها التي ستكون معها في

ذلك العمل وأيضًا صديقتها المقربة، فهي جارتها التي تقبع بالمنزل المجاور لها.

- إزيك يا سلمى؟

- أهلًا أستاذة "حنين".

- أستاذه مين يا بنتي إحنا مش في الشغل.

- مش عارفه والله بس بحسك "ياسر جلال" في فيلم "أمير البحار" الصبح بحالة، وبالليل بحالة.

فقهقهت "حنين" ثم قالت:

- إيش حال ما بقالنا خمس سنين مع بعض أكيد حفظتيني خلاص.

ثم قالت بفخر:

- عيب عليكي.

- المهم كنت عاوزاكي تجيبي كل حاجة هنحتاجها لازم شغلنا يكون حاجة مبهرة كده.

- طبعًا يا حبيبتي دي مش أول مرة.

وظلتا تتحدثان معًا في أمور العمل حتى غلبهما النعاس وغطتا في سبات عميق.

***

(5)

في الصباح الباكر تسلّلت الشمس بأشعتها الأرجوانية معلنةً بداية صباح يوم جديد مليء بالغامرات.. يستيقظ الجميع وكلٌ له هدفه. من تريد العمل، ومن تريد الترفيه، ومَن يُريد إسعادهنّ.. قاموا بعقد أحزمة أمتعتهم واستقلوا السيارة.

ظل كلٌ من "حنين"، و"سلمى" يتحدّثان عن العمل وما يريدان تحقيقه، بينما ظلت "عشق" سابحة في خيالها ترسم لها حياة سعيدة، ترسم في مخيلتها ذاك الفارس الذي سيأخذها على حصانه الأبيض.. كل يوم يزداد تأكدها أكثر من اليوم السابق أن والدها سماها "عشق" لتظل تعشق طوال حياتها ولا تعلم أين هو النصيب، ولكنها مؤمنة بالنصيب مهما يحدث وستظل تسعى إليه حتى يُذعن أمامها.

أما والدهما "شريف" فهو رغم كِبر سنه رجل وسيم وأنيق يبدو عليه السعادة رغم ما يحمله في فؤاده..رغم اليأس الذي يقبع بداخله، ما زال يُكافح حتى يرى في بنتيه ما تمنى أن يراه في نفسه.

وبعد فترة ليست بقصيرة وصلوا إلى عروس البحر، اصطفت السيارات بجانب مسكنهم، جلس "شريف" و "عشق" في المترل ليأخذا قسطًا من الراحة، حتى تنتهي "حنين" و"سلمى" من عملهما.

في شركة الديكور القابعة بالإسكندرية كانت "حنين" جالسة مع مدير الشركة ليخبرها بطبيعة العمل وما عليها من عمل يجب أن تنجزه فقال بصوته الأجش:

– بما إنك مهندسة ديكور شاطرة ومستر "خالد" عيّنك للمهمة دي فأنا واثق من اختياره ومن انجازك اللي هتعمليه.

فابتسمت لذلك وقالت بجدية:

– شكرًا لحضرتك.

– دلوقتي في عميل ويعتبر من أهم العملاء عندنا عاوز يعمل ديكور لعيادة هنا لابنه، وعاوز شغل عالي جدًا وهي دي مهمتك الفترة دي.

وأعطاها بعض الملفات وداخلها معلومات وصور عن ذلك المكان وفلاشة بها كل المعلومات، وأكمل قائلًا:

– دلوقتي هتشتغلي على الفلاشة، وبكره إن شاء الله هنتقابل هنا مع صاحب العيادة أ/ محمود الجارحي.

– تمام، إن شاء الله.

انصرفت "حنين" من مكتب المدير وكانت تتبعها "سلمى" استقلتا السيارة وعادتا إلى الشاليه.

في المساء كان يجلس بعض الشباب على البار الملحق بالبيسين يتحدثون عن أيامهم القادمة وما سيفعلونه. وظلوا جالسين حتى وقت متأخر من الليل، فاستأذنوا كلهم وتبقى واحد منهم ظل جالسًا يفكر في همّه لا يريد الذهاب إلى المترل حيث رائحته تفوح بالكآبة والملل.. فظل جالسًا هائمًا في ذكرياته.

كانت "عشق" تتحدّث في هاتفها مع أصدقائها في مكالمة جماعية، وظلوا يتحدثون عن أيام الجامعة وكم يتبقى من الأيام حتى يبدأ عامهم الدراسي الجديد، وفي أثناء محادثتهم خرجت "عشق" من الشاليه، وظلت تسير وهي هاتفهم، في أثناء ذلك كانت "حنين"، و"سلمى" قد أوشكتا على الانتهاء من عملهما على اللاب، فقالت "سلمى":

- طيب إحنا ليه ما نخلّيش السقف بالشكل ده؟

وأشارت بأصبعها على شكل آخر:

فردّت عليها "حنين" قائلة:

- يا بنتي دي عيادة يعني لازم حاجة هادية، دي تبقى حلوة أووي لو في صالة مثلًا.

فنظرت إليها "سلمى" بحبٍّ، وقالت، وهي واضعة يدها أسفل خدها متأملة في صديقتها:

- تعرفي يا حنين، أنا متأكدة إن صاحب العيادة هيتبسط أووي بشغلك ده.

- يارب.. إحنا كده خلّصنا، يلا بقى ننام إحنا سهرنا أووي.

- أوك يلا بينا، بس تعالى نشوف عشق الأول ونطمن عليها.

ذهبتا إلى غرفتها، ولكنهما لم تجداها فتعجبتا، وظلتا تبحثان عنها داخل الشاليه ولم تجداها،لمحتاها خارج الشاليه فتهامست الفتاتان على فعل شيء ما.

وفي المكالمة الهاتفية قالت إحدى الفتاتين:

- اسمعوا النكتة دي..مرة واحد راح خان الخليلي فالخليلي قتله.

وهنا ظلت "عشق" تقهقه على تلك المزحة والتي يطلق عليها (نكتة)، وأثناء ذلك سمعت صوتًا من ورائها قائلًا:

- بخ.

لم تستطع "عشق" السيطرة على نفسها فانزلقت قدماها لتقع داخل المسبح وهي تصرخ:

***

(6)

لم تستطع "عشق" السيطرة على نفسها فانزلقت قدماها لتقع داخل المسبح وهي تصرخ.. فصرخت "حنين" بصوتٍ عالٍ وكانت "سلمى" معها خائفة أيضًا، فهما لا تجيدان السباحة ولا تستطيعان إنقاذها، ومع تلك الأصوات العالية والصراخ أفاق ذلك الشاب الجالس على بار البيسين من شروده، وذهب إليهما في سرعة البرق ليسألهما:

– في حاجة يا آنسة! بتصرخي ليه؟

لم تجب أيٌّ منهما، واكتفت "حنين" بالبكاء والإشارة إلى الماء، ففَهِمَ أن هناك غريقًا، فقفز في المسبح بكل رشاقة وسرعة حتى يلحق ذلك المدعو بال(غريق).

خرج ذلك الشاب حاملًا "عشق"، وكانت لا تستجيب لأي نداء فظلت "حنين" تصرخ منادية شقيقتها:

– فوقي يا عشق إنتِ كويسة، فوقي.

فذهبوا بها داخل الشاليه، وفي غرفتها بعد محاولات عديدة لإفاقتها قالت بصوتٍ شبه مسموع:

- حرام.. حرام عليكي.

ظلّت "عشق" تحرّك يدها في الهواء حتى أمسكت يد أحدهم ووضعتها في فمها فسمعت صوتًا أجش يصرخ قائلًا:

- آآآآآآآه، يا بنت العضاضة!

وبدأت "عشق" تفتح عينيها لتجد شابًّا يقف أمامها، فتندهش وظلت تنظر له وعقلها مشغول بعدة أسئلة:

- من هذا؟ وما الذي جاء به إلى هنا ؟

فقالت بضعف:

- أنا آسفة جدًا

وأكملت قائلة بغلٍّ وهي تنظر لشقيقتها:

- كان نفسي تكون إيد "حنين" اللي عضتها.

فقالت "حنين" سريعًا:

- بجد أنا بشكرك جدًّا على مساعدتك.

وخرج ذلك الشاب من الشاليه والبسمة تُرافقه.. منذ زمن طويل ولم يبتسم هكذا، فنظر ليده وقال بابتسامة:

- يخربيت سنانك.

فقالت "حنين" لشقيقتها:

- مش عاوزة أكون واقفة متكتفة قدامك ومش عارفة أساعدك بحاجة.

فردت عليها بغلٍّ:

- طيب هتعملي إيه يعني؟

قالت "حنين" وهي تكتم ضحكتها:

- هقعد.

فانقضَّت عليها "عشق" وأمسكتا الوسادات ونشبت الحرب بينهما التي شاركت فيها "سلمى" وكنَّ سعيداتٍ للغاية.

لم ينم ذلك الشاب طوال الليل بل ظَلَّ يمارس هوايته، وكان متحمسًا جدًّا، أمسك فرشاة الرسم وظل يرسم ما يخطر بباله حتى غلبه النعاس وذهب في سبات عميق.

في اليوم التالي استيقظت "حنين"، وهاتفت "سلمى" كي تستعدا للعمل، أحضرت الفطور لوالدها وشقيقتها، وارتدت ملابسها الكلاسيكية المكوَّنة من بنطال كُحلي وقميص أبيض وحذاء ذا كعب عالٍ، ولفت حجابها الذي ازدوج فيه لونا الأبيض والكحلي. نزلت سريعًا كي لا تتأخر عن موعدها، ولم تنسَ أن تُحضر معها حاسوبها النقال، وبعض الأشياء التي قد تحتاجها في حقيبتها، واستقلَّت السيارة هي، و"سلمى" حتى وصلتا إلى مقر الشركة.

كان "محمود" مندهشًا جدًّا من تصميم "حنين"، فتصميمها رقيق للغاية وراقٍ مثلها تمامًا. فقالت "حنين" موضحة:

- ده مُخطّط تفصيلي لتوزيع الأثاث، وده مُخطّط تفصيلي للأرضيات، وللأسقف، ودي رسومات وتفاصيل تنفيذية للأسقف، وده مخطط تفصيلي لتوزيع الإضاءة، وللتوصيلات والمقابس الكهربائية، وده لاختيار نوع وشكل ولون تكسيات الحوائط من "دهانات، ورق حائط، حجر، تغليف خشبي وغيرها.

صمتت برهة ثم أكملت قائلة:

- تمام كده؟ ولاّ في أي إعتراض؟!

- لا كده ممتاز.

- تمام، العُمّال هيبدأوا من النهارده.

ذهبت "حنين" إلى العيادة، يرافقها كثير من العمال كي ينتهوا من العمل سريعًا، وأعطتهم التعليمات وجعلت "سلمى" مرافقة لهم.

استيقظت "عشق" على صوت والدها يناديها فنهضت بكسل، وما إن أدركت أن الوقت قد تأخّر حتى هبّت واقفة، فهي جاءت هنا من أجل أن تتنـــزه لا لأن تقضي وقتها كله نائمة.. فأخبرت والدها أن يستعد حتى تنتهي من تبديل ملابسها ليجلسا على شاطئ البحر قليلًا، فوافق على الفور.

ارتدت "عشق" أحد السراويل الجينز المُقطّعة عند الركبتين، وتركت شعرها ينسدل على كتفيها في نعومة مع نظارة الشمس التي تأكل نصف وجهها،خرجت من غرفتها لترى شقيقتها التي عادت من عملها، ارتدت

"حنين" فستان يتناسب مع البحر باللون الأرجواني مع حجابها الذي يُضفي فوق جمالها جمالًا. ذهبوا جميعًا إلى الشاطئ، كانت الشمس تُرسل أشعتها الأُرجوانية في أعينهم لتتحول إلى اللون العسلي، كان الجو رائعًا والبساتين تحيطهم من كل جهة.. قضوا يومًا رائعًا لا مثيل له. كان "شريف" سعيدًا جدًّا بابنتيه، فرغم كِبر سنهما كانتا مثل الأطفال لم تتركا شيئًا إلا وفعلتاه، ذهبا يلعبان مع الأطفال. سعدا من قلبيهما وأسعدوا من حولهم.

في المساء جلسوا جميعًا أمام التلفاز وكانت معهم "سلمى" بعد أن انتهت من عملها.. كانوا يشاهدون مسرحية (العيال كبرت) ويقهقهوا على "سعيد صالح" -رحمه الله- وهو يحاول قراءة الجواب:

- تذكر تان تتان تان تذكرتان، يا جماعة دي سهلة أووي إستنوا كدا هقولها غيبًا.

ويضع يده على عينه ليقول:

- تذكرتان.

يقهقهون جميعًا على ذلك المشهد، وفجأة رنَّ جرس الباب لتذهب "عشق" لترى من الطارق في ذاك الوقت المتأخر من الليل؟ ففتحت الباب ولم تجد أحدًا ظلّت تنظر جيدًا لعلها تجد من الطارق، وباءت محاولتها بالفشل،فقررت أن تغلق الباب، وجاءها صوت والدها قائلًا:

- مين يا بنتي؟

ردّت عليه مقهقهة:

- محدش يا بابا شكل كان بيتهيألنا المسرحية أثّرت علينا.

كادت تغلق الباب، وفجأة رأت صندوقًا على الأرض مُغلفًا فتعجبت، وقررت أن ترى ما هذا؟

فدخلت غرفتها، وبدأت تنزع الغلاف لترى ما بداخله وصُدِمَت حين رأت اللوحة فكانت.. .

***

(7)

دخلت "عشق" غرفتها، وبدأت تنزع ذلك الغلاف لترى ما بداخله وصُدِمَت حين رأت اللوحة.. فكانت صورة فتاة تُشبهها تمامًا، بل يمكن أن نقول إنها كانت صورة ل "عشق".. فظلت تفكر ترى من صاحب تلك اللوحة، فبحثت داخل الصندوق لعلها تجد شيئًا آخر، وبالفعل وجدت ظرفاً فالتقطته بشغفٍ لتقرأ ما بداخله وكانت فاغرة فمها حيث كان كالتالي:

***

لكِ يا عشق:

"كم سحرتني أعين كثيرة

لأن في سحرها أسرارًا!

وكم سُحرت من بريق لمعانها

لأن في بريقها أنوارًا!

وكم تمنيت رؤيتها ثانية

لأن في رؤيتها ازدهارًا!

وكم تصورتها مرارًا

لأن في تصورها إصرارًا!

فدومي أيتها الأعين الجميلة!

دومي على سحرك فأنا في انتظار"

آسر

لنزار قباني

***

ظلت "عشق" مشتتة متعجبة من تلك اللوحة ظلت تفكر:

– يا ترى مين آسر ده؟ أنا أينعم أعرف ناس كتير أووي بس عمري ما سمعت الاسم ده.

وظلّت تُردّد "آسر" علّها تتذكر أي شيء.

كانت الفتاتان تناديانها حتى تأتي لتشاهد معهما التلفاز، ولكن لم تُعِرهما عشق أي اهتمام، بل ظلت شاردة، بداخلها ألف إحساس، ولا تستطيع أن تحدده هل هي سعيدة؟ أم حزينة؟ أم عاشقة؟ أم بائسة؟ لم تعرف فنهضت إلى فراشها وكان التفكير سيد الموقف.

***

في الصباح الباكر استيقظ كل من بالمنزل، كانت عشق على حالتها لا تعرف ماذا تفعل وبأي شعور تشعر؟ فقرّرت أن تكون سعيدة وقالت في نفسها:

- يعني في حد بيكراش عليا وأنا اكون زعلانة، لا ده أنا أبقى عبيطة.. بس اللي مجنّني أنا عاوزة أفهم هو عرفني منين؟ وإزاي؟ وإمتى؟

وقررت أن ترتدي ملابسها الرياضية لتمارس بعض الأنشطة حتى تأتي سلمى من العمل وتتحدث معها.. ففي الغالب تُفضّل "عشق" الحديث مع "سلمى" بالرغم من أنها ليست صديقتها المقربة فإنها تحترم رأيها، وبشدة على عكس "حنين" التي لا تُعيرها أي اهتمام وتحبطها دائمًا، فالعمل بالنسبة إليها هو هدف أي فتاة ومن تخالف ذلك ف(ذنبها على جنبها).

***

كانت "حنين" تتابع العمال وترشدهم وكان معها "محمود" الذي أُعجِبَ بالعمل الذي تم انجازه ويتبقى منه القليل.فقال بصوته الغليظ:

- كده تمام جدًّا.

- أوك الخطوة اللي جاية حضرتك هتحُط الأجهزة في العيادة وكل المستلزمات وأنا هظبطها بشكل مناسب جدًّا مع الديكور.

فرد عليها بابتسامة:

- تمام أنا واثق جدًّا في شغلك.

ظلت حنين، وسلمى بالعيادة لوقت متأخر من الليل ولم يتركاها إلا وقد انتهتا من مهمتهما.

***

كانت "عشق" تسير أمام الشاليه تفكر وتفكر وتفكر حتى ملّت، وانتظرت سلمى بشغف حتى تسألها عن تفسير ما يحدث معها، قطع حبل أفكارها حديث أحدٍ:

- يا عم العاشق انت.

فالتفتت إلى مصدر الصوت وكانت حنين التي أتت من عملها هي وسلمى.. فقالت عشق ضاحكة:

- يا بنتي حرام عليكي أنا اليوم اللي هموت فيه هيكون بسبب خضّتك ليا.

- طيب يلا يا لمضة عشان أنا على لحم بطني من الصبح والغلبانة دي.

وأشارت إلى سلمى ثم أكملت قائلة:

- حضّريلنا العَشَا بقى.

- الفلبينية اللي بابا جابهالكوا أنا.

دخلوا إلى الشاليه، وسلّموا على "شريف" وجلستا كلُ من "حنين" و"سلمى" تتحدثان معه على ما أنجزوه في عملهما، وكان الأب سعيدًا بهما، فهو يعتبر سلمى ابنته الثالثة، واستأذنوه ليُبدّلوا ملابسهم، وجلسوا

على السُفرة منتظرين الطعام، وفجأة سمعوا صوت عشق وهي تضحك بشدة، فنادوها ولكنها لم تحضر، بل استمرت في الضحك، فتعجبوا لما يحدث، لذا قرروا أن يذهبوا ليروا ما الشيء الذي يُضحكها هكذا فتفاجأوا ب.. ..

***

(8)

عَجِبَت كلٌّ من حنين وسلمى مما يحدث؛ لذا قررتا أن تذهبا لتريا ما الشيء الذي يُضحك عشق هكذا، فتفاجأتا بوجود شيء ما يُطهى على النار فقالت سلمى سريعًا:

– نهارك مش فايت يا عشق إيه اللي إنتِ عاملاه ده.

وذهبت سريعًا لتُطفيء النار المتأججه، وتُحضّر هي العشاء الذي دمّرته عشق بجهلها في طهى الطعام، وأكملت حنين قائلة:

– أنا شفت في حياتي كتير الصراحة بس أول مرة أشوف واحدة بتسيّح جبنة.

ثم أكملت ضاحكة:

– إنتِ متخلفة يا بنتي.

وكانت عشق في حالة يرثى لها من كثرة الضحك وعندما توقفت قليلًا قالت:

- الجبنة بتسيح ههههههههه.

وهنا جاء والدهما "شريف"، و أكملت عشق ضاحكة:

- أيوه أيوه، أنا مرة شُفت بابا بيحمّر الجبنة، قلت أقلّده لقيتها بتسيح.

ردّ عليها الاب قائلًا.

- يا مجنونة! ده كان نوع جبنه معين اسمه "حلوم" بيتعمل كده إنتِ بتزيطي في الزيطي يا زئردة.

كانت سلمى تحضر هي العشاء فهي ليست ماهرة في الطهو، ولكنها تعرف كيف تطهو إلى حدٍّ ما وعندما انتهت جلسوا على السفرة وشرعوا في تناول الطعام، كلٌّ منهم يتحدث عمّا أنجزه في اليوم، وكانت عشق شاردة فأردفت سريعًا:

- حنين هو إنتوا بكره عندكوا شغل؟

- لا يا ستّي بكرة مش رايحيين الشغل بس أنا وسلمى هنشتغل على اللاب شويه.

ردّت عليها بسعادة:

- أوك معاكوا ربنا.

ثم غمزت لسلمى لتفهم أنها تريدها غدًا لشيء ما، وهزّت رأسها إيجابًا وهي مبتسمة،وعند انتهائهم من تناول الطعام تمنى بعضهم لبعض أحلامًا سعيدة.

انسدلت أشعة الشمس بخيوطها الذهبية إلى غرفة سلمى لتستيقظ من نومها وتتفاجأ بعشق أمامها فقالت بفزع وعينين شِبه مُغمضتين:

- سلام قولًا من رب رحيم، هو اللي أختك هتعمله فيكي هتطلعيه عليا.. حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا حنين.

- سيبك من الهري ده كله أنا عاوزاكي ضروري أوي، قدامك نص ساعة وتكوني في "الكافيه" تمام!

- لا دي شكلها حاجة مهمة أووي عمومًا أوك.

- تمام وأنا هسبقك بس ما تتأخّريش عليا.

وبالفعل ذهبت عشق إلى ذلك الكافيه، وكانت هناك عينان تتبعاها.. جلست وطلبت مشروبها المفضل كاراميل ماكياتو.

وصلت سلمى إلى الكافيه،وظلّت تلتفت حولها إلى أن رأت عشق التي كانت ترتدي بلوزة زهرية اللون تتناسب مع بشرتها، وبنطالًا أسود، نثرت شعرها على كتفيها،ووضعت نظارتها فوق شعرها لترجع بعض خصلاته التي تناثرت على وجهها.. فذهبت إليها وجلست الكرسي المقابل لها وأردفت قائلة بابتسامة:

- أديني جيت أهه، إيه بقى الحاجة المهمة اللي عاوزاني فيها دي؟!

ردَّت عليها قائلة بسرعة:

– يا بنتي فينك كل ده أنا محتاجاكي أووي معايا وعاوزه آخد رأيك، ومستنياّكي من امبارح كل ده؟

– اهدي عليّا بالراحه، في إيه؟ احكي أهو أنا هاسمعك.

ظلّت عشق تسرد لها ما حدث ليلة أمس، وعن تلك اللوحة التي رُسمت طِبقًا لها، وعن آسر ذلك الشخص المجهول، ثم أخرجت هاتفها من حقيبتها السوداء وفتحته وأعطته سلمى إياه قائلة:

– بُصّي حتى.

ظلت سلمى تنظر للهاتف، وهي فاغرة فمها:

– إيه ده! دي إنتِ.

ردت عليها بسخرية:

– أمّال بضحك عليكي! إيه الغباء اللي نزل عليكي ده يا سلمى.

– يا سيدي يا سيدي..ده حد حافظ شكلك عشان يرسمك كده.. يا ربي حلوه اووى.

– سيبك من ده بردو. مين آسر ده؟

– بصي طالما بدأت بلوحة وجواب يبقى حبه هيظهر وهتشوفي.

– أشوف إيه إحنا هنرجع القاهرة بكرة.

– أنا هقول لك يا ستي.

وفجأةً رنَّ هاتفها، وكان هاتف عمل فنهضت لتبتعد عن الضوضاء.. كانت عشق جالسة منتظرة سلمى، وكان ذلك الشخص ما زال يُراقبها واستغلَّ تلك الفرص حتى يتحدث معها.

كانت "عشق" جالسة تعبث بهاتفها، وفجأة ظهر أمامها شابٌّ طويل القامة، ذو جسم رياضي وشعر أسود غزير ناعم مُصفَّف إلى الوراء ليزيد من وسامته ، صاحب عينين بُنيتين، وملامحه ملامح شرقية تجعله في غاية الوسامة.. اندهشت عشق بتجرؤ ذلك الشاب بجلوسه على الكرسي المقابل لها، ولكن لم تُعِره اهتمامًا، وظلّت تعبث في هاتفها فأردف قائلاً:

- إزيك يا عشق.

فانتبهت له قائلة بعدما ناداها باسمها:

- عرفت اسمي منين؟

***

كانت "حنين" منشغلة بعملها، وفجأة سمعت صوت والدها يبكي، فذهبت إليه مسرعة ووجدته على فراشه ممسكًا ببعض الصور ويبكي بشدة.. فهمت "حنين" سريعًا سبب بكاء والدها،فأخذت الصور منه، واحتضنته، وظلّت تُربّت على ظهره حتى تُهوّن عليه، وكانت من داخلها تحترق فقالت مانعة نفسها من البكاء:

- الله يرحمها.

هذه الذكرى الأليمة التي يبكي "شريف" عليها سنويًا، وهي وفاة زوجته "دلال" وأم ابنتيه.. لم تترك ذاكرته قط ولو وهلة.. يراها دائمًا حوله، بجانبه.. يراها في ابنتيه. نعم فـ"حنين" و"عشق" تشبهانها بدرجة كبيرة؛ لذلك فهو يعشقهما فوق عشقه لكونهما ابنتيه.

ظلت "حنين" مع والدها إلى أن تأكدت أنه قد نامَ.. طَبَعَت قُبلةً على جبهته وتركته ليستريح قليلًا.. ذهبت إلى غرفتها وظلت تبكي بكاءً مريرًا.. نعم، فلقد اشتاقت إلى والدها التي تركتها منذ نعومة أظفارها.

***

انتبهت إليه "عشق" قائلة بعدما ناداها باسمها:

– عرفت اسمي منين؟

لم يرد عليها، وأكمل قائلًا:

– أكيد اللوحة عجبتك مش كده؟

أُلجم لسانها فلم تستطع الرد عليه، فارتدى نظارته الشمسية، وسحب سلسلة مفاتيحه وهَمَّ بالقيام وهو ما زال يُريد البقاء، فالتفت إليها متذكرًا وهو يقول:

– سلام يا عشق.

تركها مذهولة تسأل نفسها:

– إيه ده؟ هو ده صاحب اللوحة؟ هو يعرفني منين؟ بس أنا متأكدة إني شوفته قبل كده.

وهنا جاءت سلمى، وكانت تلتفت خلفها وقالت:

- إنتِ بتكلمي نفسك يا بنتي.

ولم تنتظر منها إجابة، فأكملت قائلة:

- عارفه أنا شفت مين دلوقتي؟

- مين؟!

***

(9)

أخبرتها "سلمى" أنها رأت ذلك الشاب الذي أنقذ "عشق" عندما تهاوت قدمها ووقعت داخل المسبح.. كانت "عشق" مندهشة من أن يحدث كل ذلك لها، وظلت تربط الأحداث كلها وهدأت عندما علمت من هو "آسر" وظلت شاردة وهي تتخيّله جالسًا أمامها.

***

- تعرفي إن اسمك حلو ومميز أوي.

- ميرسي.

- يا ترى عجبتك اللوحة؟

- جدًّا بجد إنت فناااان.

- عشق؟

- نعم.

- تقبلي تتجوزيني؟

وفجأة صاحت فيها "سلمى" حيث إنها ظلت تتحدث و"عشق" في عالم آخر.

- حرام عليكي مش كنت أعرف إيه اللي هيحصل؟

- يحصل إيه في إيه؟

- أصله قال لي تقبلي تتجوزيني وأنا مش عارفه أعمل إيه.

- يتجوز مين ما أنا قاعده قدامك وعارفه اللي فيها يا شيخة إتنيلي.

وقصّت عليها "عشق" ما حدث منذ قليل في أثناء حديثها في الهاتف، وفهمت "سلمى" حينها أنه أحبها من أول مرة رآها فيها.

***

في اليوم التالي أنجزت "حنين" عملها، وكانت العيادة أوشكت على الانتهاء، طلب منها مديرها بالعمل أن تأتيَ على الفور لإنهاء بعض الأعمال في فرع القاهرة وأن تترك "سلمى" حتى تنتهي من بعض اللمسات الأخيرة في العيادة، حتى يتم تسليمها بالوجه الذي يُرضي صاحبها.

كانت "عشق" حزينة لأنها ستترك عروس البحر، وستترك ذاك الذي لا تعرف عنه أي شيء سوى اسمه فقط، وأنها ستبدأ دراستها بعد أيام قليلة.

عَقَدَ الجميع أحزمة الحقائب وتوجهوا خارج الشاليه للعودة إلى القاهرة التي تحمل لهم الكثير من المفاجآت التي ستسعد بعضهم وتُحزن بعضهم الآخر.

***

في ذلك الوقت كان هناك شخص ما يترقّب خروج "عشق" ولكنها لم تخرج بعد. ولكن كيف؟ فهي كل يوم في الصباح الباكر تنهض مبكرًا لتجلس أمام البحر.

فظلّ جالسًا بالقرب من الشاليه وعيناه مُسلطتان كالصقر على الباب حتى تظهر تلك الفتاة الحسناء.. ظل هكذا طوال اليوم حتى اقترب موعد غروب الشمس فخاب أمله في أن يراها اليوم، وهَمَّ بالمغادرة، ولكن لفت انتباهه دخول أحد ما الشاليه.

***

وصل "شريف" وإبنتيه إلى القاهرة بسلام. وبدأوا في التأقلم مرة أخرى على منزلهم.. اشتركت "عشق" مع شقيقتها في إزالة الغبار عن أثاث المنزل وظلتا تلعبان معًا كالأطفال تضع "حنين" لشقيقتها الصابون على الأرض لتخرج الأخرى وتنزلق وتبدأ المعركة في الأرض المليئة بالماء والصابون، بينما وقف "شريف" لتحضير الطعام لهما. بعدما انتهى من طهى الطعام ظل يتجول في المنزل حتى يتمم على نظافته ولكن رأى شيئًا أوقفه مكانه.

***

في الإسكندرية لفت انتباه ذلك الشخص دخول أحد ما الشاليه. فخفق قلبه لأنه من المحتمل أن تكون "عشق"، ولكن هيئتها لا تدلُّ على أنها عشق تمامًا التي ترتدى ملابس كما يقال (روشة).. فخاب أمله في أن يراها اليوم، وذهب إلى منزله الذي لا يوجد به أحد سوى والدته.

إنه "آسر" ذلك الشاب الذي عانى طوال حياته، انفصل والداه منذ صغره، ويعيش مع والدته في منزل بسيط. انقطعت عنه أخبار أخيه، وأصبح لا يعرف عنه أي شيء منذ تسعة أعوام. يعيش في حزنٍ وألم، لتحمُّله مسؤوليته ومسؤولية والدته المريضة، فقد تُوفي والده من فترة مما جعل قلبه يُعتصر من أجل فُراقه. يعشق الرسم، لذلك خصّص جزءاً من المنزل (أتيليه) للانفراد بنفسه والبُعد عن ضجيج العالم لرسم لوحةٍ تحلو له.

***

كانت "حنين" جالسة في الشرفة تنظر إلى السماء، تتأمّل النجوم كم هي جميلة ولها رونقها الخاص، كم هي ما زالت محافظة على رونقها رغم عتمة السماء.. ليصدح هاتفها ويخرجها من ذلك التأمل فترد قائلة:

– حبيبي عاملة إيه.

– الحمد لله.

– إحكيلي خلّصتي كُل حاجة؟!

ردّت عليها بفخر:

– عيب عليكي ده إنتِ سايبه سلمى هانم وحيد باشا.

– إنتِ هتقولي لي.

– كُل حاجة خلصت زي ما إنتِ عاوزاها.. بُكره هتمّم على اللي إتعمل ودي كده آخر خطوة.

– تمام، حضّري حاجتك بقا عشان ما تتأخريش.

– أوك أنا هبدأ أحضّر حاجتي دلوقتي قبل ما أنام.

– طيب، تصبحي على خير.

– إستني بس يا كسولة، ما تنسيش تسلّميلي على عشق كتيير وعمو كمان.

– يوصل يا حبي.

أغلقتا هاتفيهما، وظلّت حنين شاردة في حديث والدها منذ قليل.

***

فلاش باك:

كانت حنين تُعطي والدها الدواء المُحدّد قبل النوم فأخذه منها، وارتشف القليل من الماء.. شَكَرَها على اهتمامها به الذي افتقده منذ وفاة زوجته.. قبّلته "حنين" وهمّت بالقيام، ولكن أمسك يدها، وطلب منها الجلوس للحديث معها قليلًا، فقالت له:

– خير يا بابا في حاجة؟

– أيوه يا بنتي في، في إنك كبرتِ خلاص، ونفسي أشوفك عروسه وعايشه حياه سعيدة .

ردّت عليه مازحة:

– شكلك زهقت مني يا بابا.

– لا بالعكس، أنا هكون زعلان لما أشوفك مش سعيدة.

– ومين قال بقى إني مش سعيدة أنا بشتغل أهو وظيفة كويسة ومعايا فلوس والحمد لله.

– مين قال يا بنتي إن السعادة شغل وفلوس؟

قبّلت يديه وأردفت قائلة:

– حاضر يا حبيبي هفكّر.. تصبح على خير.

***

باك..

ظلّت حنين تتخيّل نفسها بفستانها الأبيض وارتسمت البسمة على وجهها، وفجأة تذكّرت أن الوقت قد تأخّر فهمهمت قائلةً:

– أنا هطلع أنام بقى عشان ما أتأخرش على الشغل بكرة.

ذهبت لتطمئنَّ على شقيقتها "عشق" التي كانت جالسة على فراشها ممسكة بجواب "آسر" وظلت تردّده مرارًا حتى أصبحت تحفظه عن ظهر قلب، وقد بدأ نسيج من الحب يتسلل لقلبها رويدًا رويدًا.

دخلت "حنين" لتطمئنَّ على أختها التي ما إن رأتها حتى ارتبكت قليلًا وأخفت ما بيدها سريعًا.. فتعجّبت "حنين" من شقيقتها الساكنة التي لا تصدر أي صوت، وهي ليس من عادتها وسألتها قائلة:

– إنتِ كويسة يا عشق؟

فنظرت لها بخوف على غير عادهَا وردت قائلة:

- أيوه يا حبيبتي كويسة كويسة أووي

سألتها بشكٍّ:

- متأكدة؟

- أيوه.

قبّلتها "حنين" وذهبت إلى غرفتها.. تعجّبت كثيراً من سكون شقيقتها، فهي تعلم أن وراء كل هذا الصمت حبًّا جديدًا.. ففضّلت الصمت، وعدم التحدّث معها لأنهما حتمًا سيختلفان في الرأي.. لذلك قرّرت ترك كل شيء ليوم جديد وذهبت في سُبات عميق.

***

(10)

في صباح يوم جديد استيقظت "سلمى"، وكلها نشاط وحيوية توضأت، وصلّت، وبدّلت ملابسها للذهاب إلى العمل.. في ذلك الوقت وصل "آسر" بالقرب من الشاليه وظلّ يُراقبه إلى أن خرجت منه سلمى فقال في نفسه:

– هو مفيش غير البنت دي في أم الشاليه ده؟

ذهبت "سلمى" إلى العيادة وتّممت على كل شيء، وكان كل شيء على ما يرام، وفي منتصف اليوم عادت سريعًا إلى الشاليه حتى تبدّل ملابسها للعودة إلى القاهرة.

بعد وقت طويل مَلّ "آسر" من المراقبة وقرّر أن يُدّق جرس المنزل وليحدث ما يحدث.

في ذلك الوقت كانت "سلمى" تترجّل من السيارة التي تقف أمام الشاليه، وما إن رأت ذلك الشاب حتى قالت بصوتٍ عالٍ:

– حضرتك مين؟

كانت "حنين" في عملها، وكان العمل ليس بكثير وما إن انتهت منه حتى جاءها طلب من المدير فذهبت إليه سريعًا.. ما إن رآها حتى قال:

- آنسة "حنين" إنتِ كل مرة بتفاجئيني بشغلك،وعشان كده من دلوقتي في زيادة في مرتبك (2000) جنيه.

- متشكره أووي يا فندم، ويارب دايمًا أكون عند حسن ظن حضرتك.

- وإعملي حسابك في أى وقت لو في أي سفرية.

- إن شاء الله.

شكرته، وخرجت من عنده، وظلت تحمد الله كثيرًا، فحقًا من زرع حصد ولكل مجتهدٍ نصيب.

عادت إلى منزلها والبسمة تكسو وجهها.

***

قالت سلمى بصوتٍ عالٍ:

- مين حضرتك.

فالتفت إليها وقال بثقةٍ:

- أنا آسر، اسمي آسر.

- تشرّفنا، أقدر أساعد حضرتك؟

ردّ عليها متردداً:

- كنت بسأل عن الآنسة عشق.

- عشق رجعت القاهرة ومش جايه هنا تاني.

فابتلعت ريقها ثم قالت بتلعثم:

- قصدي مش موجودة تحب أبلّغها بحاجه؟

- أيوه ممكن آخد عنوانها.

- أما قلة ذوق صحيح،ماينفعش يا أستاذ وياريت تتفضّل عشان متأخّرش عن السفر.

فقال مُراوغًا لفكرة سفرها:

- بس أنا عاوز أوصل لها ممكن؟

- مش هينفع ويا ريت تتفضل.

أفسح لها الطريق واكتسى وجهه بالحزن لفكرة عدم وجود عشق التي ما إن رآها أول مرة سُحر بجمال عينيها. فقرّر العودة إلى منزله بعدما تملّكه الحزن ولكنه عَقَدَ العزم على فعل شيء ما.

عادت "حنين" إلى منزلها والسعادة تكسو وجهها فكانت "عشق" أول من رآها فقالت محاوله استفزازها:

- أنا عارفه إنتِ مبسوطه كدة ليه.

- ليه يا ذكية إشجيني؟

- أكيد قابلتي فارس الأحلام اللي هيخطفك على حصانه الأبيض.

قاطعتها "حنين" قائلة:

- بس بس بس في إيه. أنا مبسوطة عشان حاجة تانيه أهم من اللي إنتِ بتقوليه ده بكتيير.

- ويا ترى إيه هي الحاجة دي يا حنين هانم؟

قالت بسعادة وهي تقفز كالأطفال:

- المدير زوّدلي مرتبي.

- والله لاحدفك بالقُلّه دي تعالي لي.

ذهبت "حنين" مسرعة إلى غرفتها وكانت شقيقتها تجري وراءها للحاق بها، وظلتا تمزحان معًا إلى أن قالت "عشق" محاولة لأخذ نفسها من كثرة الضحك:

- يلاّ بينا نقوم نساعد بابا في المطبخ عشان عازمين سلمى النهارده.

- يلاّ بينا.

في المطبخ كان "شريف" يُقطّع الخضراوات فذهبت إليه الفتاتان لتساعداه، وأثناء الطهي قالت "حنين" لوالدها:

- عارف يا بابا إنت ليك الجنة والله.

- يا رب يا بنتي.

- آه والله عشان عندك بنتين أهبل من بعض.

فقهقه والدها وقال:

- إنتوا الهوا اللي بتنفسه يا بنتي ربنا يخليكوا ليا.

***

كانت "سلمى" تقود السيارة وهي تدندن بسعادة، وكان هناك أحد ما يتبعها. بدأ ذلك الشخص الذي يتبعها بالشرود،وظل سابحًا في خياله يتخيّل ماذا سيحدث؟ وما يتوجب عليه فعله؟ وفي أي وقت؟

كان هناك مطب أمامه على بعد خمسة عشر مترًا، ولكن لم يلاحظه بسبب شروده، وهنا بدأ ذلك الشخص يُفيق من خياله شيئًا فشيئًا ليستوعب أن عليه تهدئة سرعة السيارة سريعًا التي تعدّت المائة وسبعين، ليحدث ما لم يتوقعه أحد. شحب وجهه من الخوف. وضغط على الفرامل سريعًا، لتتصدم السيارة التي وراءه به، صدمه قوية أحدثت ضجيجاً عالياً.

سمعت "سلمى" ذلك الصوت وراءها فهدّأت من سرعة السيارة قليلاً، ولاحظت أن هناك الكثير من السيارات قد توقّفت ثم رأت تجمع هائل من الأشخاص حول سيارتين على الطريق وسمعت صراخ مدوٍ، فترجلت من سيارتها بتردد،وذهبت قاصده ذلك التجمع ورأت شخص رأسه ملطخ بالدماء وقد اخترقت رأسه الزجاج الأمامي وكان مشهداً يمزق القلب.

ارتجفت سلمى من هول المنظر وكانت في حالة ذعر من أن يكون الذى جال فى خاطرها بصحيح.

***

(11)

أمسكت "سلمى" هاتفها سريعًا لتهاتف الإسعاف. وفور مكالمتها، وصلت عربة الإسعاف إلى الموقع، وبدأت في نقل الجرحى إلى المشفى.

كانت سلمى تسير خلف الإسعاف فهي تريد الاطمئنان على ذلك الشاب، ليس لسبب معين سوى تعاطفها مع ذلك الشخص وأنها تريد التأكد من شئ ما وظلت الأسئلة تدور في خاطرها؟

- شكله صعب أووي. طيب يا ترى هو عايش؟ ولا مات؟

***

بدأت "حنين" في وضع الطعام على المائدة، ولأنها مهندسة ديكور فكانت تضع الأطباق بشكل مميز، فكانت تضع الأطباق وتحدث نفسها قائلة:

- لا نحط الطبق ده مكان ده، أيوه ونحط السلطة هنا. كده شكله أحلى وأشيك.

- هتجننيني أقسم بالله ما تحطي الأطباق بأي طريقة ما كله كده كده هايتاكل.

- إنتِ جاهلة ومش بتفهمي، خلينا لك الفرجة على التليفزيون.

- على الأقل بيضحّكني.

وأكملت مُشاهدة التلفاز حيث البرنامج الذي تتابعه دائمًا.

بعد دقائق معدودة صدح هاتف "عشق" معلنًا اسم "سلمى" فردت عليها قائلة:

- باقي لك أد إيه؟ أنا هموت من الجوع.

ردّت عليها بخوف:

- أنا عاوزاكي دلوقتي حالًا.

سألتها "عشق" فى قلق:

- مالِك في إيه؟

- ضروري يا عشق هستناكي قدام مستشفى "......"

إندهشت عشق وقالت بنبرة متعجبة:

- نهارك اسود يا سلمى مستشفى!

- انجزي بسرعة.

أغلقت معها الخط، وذهبت سريعًا إلى غرفتها لتُبدّل ملابسها.

ذهب كل من "شريف" و"حنين" وراءها، وقصّت لهم "عشق" سريعًا ما فهمته من صديقتها وأذن لها والدها بالذهاب، وكان متعجبًا مما يحدث.

***

أمام المشفى وصلت "عشق" وعلى وجهها علامات خوف تريد أن تعرف ماذا حدث، ولَم تريدها "سلمى" في ذلك المكان خصيصاً فمن ضمن صفات "عشق" أنها فضولية، فلم يهدأ بالها لوهلةٍ طوال الطريق، ورأت سلمى أمامها وهي تسير ذهابًا وإيابًا ويبدو على وجهها الرعب، وما إن رأتها أسرعت إليها وقالت بنبرة خوف وحزن:

- الحقيني يا عشق، الحقيني.

لم تترك لها "سلمى" فرصة للرد عليها وأكملت قائلة:

- وأنا ماشيه ع الطريق حصل حادثة، نزلت أشوف لو أقدر أساعد حد، للأسف كانت حادثة جامدة جدًّا.. عارفة كان مين؟

ردّت عليها بشغفٍ:

- مين؟

قالت بتردّد:

- آسر.

***

(12)

لم تُصدّق "عشق" ما سمعته أُذُناها، ولم تنبس ببنت شفة.. فقط اكتفت بالتحديق إلى الفراغ الذي أمامها، لم تنطق ولو بحرفٍ واحد، وكأن لسانها لُجِمَ وعجز عن الحديث، كانت متعجبة، أليس آسر مقيمًا بالإسكندرية؟

ما الذي جاء به إلى هنا؟ تشنّج عقلها للحظات من فرط التفكير، وأبى أن يستقبل تلك الفكرة.

كانت سلمى منتظرة أي تعبير منها، ولكنها لم تجد سوى تعبيرات الذعر على وجهها، ظنّت سلمى لوهلةٍ أن صديقتها عديمة الإحساس والمشاعر لعدم وجود أي ردٍّ.. هكذا نحن البشر، معظم تعبيراتنا داخلية، لا يفهمها أحد سوانا، ولا نستطيع التعبير عنها، فيظنُّ من حولنا أننا عدماء المشاعر والإحساس، وفي الواقع أن مشاعرنا قد تبلّدت من كثرة الصدمات، وربما من كثره الألم.. فكثيرٍ من الأحيان يكون حزننا كالضوء الخافت فى منتصف الليل لا يراه أحد سِوانا.

بدأت "عشق" تستوعب ما قيل منذ قليل فهتفت قائلة، وكأنها تُصارع لسانها حتى يتحرك:

- هو فين؟ أنا عايزه أشوفه بسرعة.

دلفت الفتاتان داخل المشفى سريعًا، سألتا الممرضة عن مريض انتقل إلى هنا منذ قليل في حادثة سيارة، نظرت الممرضة في الكشف أمامها وأخبرهما بخيبة أمل:

- أنا آسفة يا فندم، البقاء لله.

وقعت تلك الكلمة عليهما كوقع الصاعقة، ولم تستطع "عشق" تصديق ما سمعته تواً، فتهاوت قدماها فجأةً، ومَرَّ أمامها كلمات آسر التي توحي بجمال شخصيته، وظلت هذه الكلمة تتردد على مسامعها:

فدومي أيتها الأعين الجميلة

دومي على سحرك فأنا في انتظار.

وفجأة فاقت من شرودها على صوت الممرضة التي ظلّت تناديها لتسألها عن اسم المريض حتى تتأكد، فلم تجب وردت عليها "سلمى"، فقالت بصوت حزين:

- آسر، اسمه آسر.

ذهبت الممرضة، ونظرت في الفحوصات التي أمامها ثم قالت:

- المريض في غرفة العمليات دلوقتي، أنا آسفة على اللخبطة اللي حصلت دى.

سَعِدَت الفتاتان كثيراً خاصةً عشق التي أحسّت أن الروح دبّت في جسدها مرة أخرى، وأخبرتهما الممرضه أنه ما زال في غرفة العمليات، وأرشدتهما إلى مكان الإنتظار.

ذهبت الفتاتان، وإنتظرتا خروج "آسر" من غرفه العمليات.

مَرَّ الكثير من الوقت ولم يخرج الطبيب ليطمئنهما..فتملّك "عشق" الخوف، وظلت تجوب في الطرقة ذهابًا وإيابًا وهي تفرك أصابعها من كثرة التوتر، تدعو الله كثيرًا أن يجعله مُعافَى وسليمًا.هي حقًا لا تعرفه حق المعرفة، ولكنها رأت فيه فارس أحلامها، رأت فيه ما تمنت أن يكون في أخيها الذي لا وجود له، رأت فيه إبداعًا وحبًّا ووسامةً اجتمعت كلها به. وفي أثناء تفكيرها سمعت صوت الطبيب يتقدم من الغرفة، فذهبت إليه بشغفٍ وسألته عن حالة المريض فرد عليها قائلًا:

– حضرتك تقربي له حاجة؟

أُلجم لسانها لوهلةٍ ولم تستطع الرد، هل تخبره بأنها لا تعرف شيء عنه سوى اسمه؟ فقالت متلعثمة:

– أيوه، أأأ.. أنا خطيبته.

– بصراحة هي حالته صعبة جدًّا، جاله ارتجاج في المخ من أثر الحادثة، لأنها كانت شديدة عليه ده غير الكدمات والخدوش الجامده اللى فى وشه.

– طيب أنا عاوزه أشوفه، ممكن؟

– أنا آسف مش هينفع لإنه دلوقتي في العناية المركزة.

تركها الطبيب في صدمتها، ودون تفكير ذهبت مسرعة لتسأل الممرضة عن غرفة العناية المركزة، أخبرها الطبيبة أن الدخول ممنوع، وأخبرها أن تطمئن على المريض من خلال رؤيته عبر الزجاج، وبالفعل ذهبت وعندما رأته تركت العنان لدموعها وكأنها لم تبكِ منذ آلاف السنين، بكاءً مريرًا كبكائها على والدها التي لم ترَها ولو مرة قط، بعدما قصّت عليها "سلمى" أنه كان ينتظرها خارج الشاليه وأنه مهتم لأمرها وذهب خلف سلمى حتى يصل إلى طريقها.

كانت تتذكّر كل ذلك، وتنسكب الدموع على وجهها كمن يسكب المياه على الحشائش لريِّها، كانت "سلمى" بجانبها التي ظلت تربت على كتفها لتهدئها قليلًا، ولكن كيف لمذنب أن يكف عن البكاء وتأنيب الضمير؟

***

كان "شريف" قلقًا جدًّا لتأخر الفتاتان، خاف أن يكون أصابهما مكروه.. فأمسك هاتفه قلقاً، واتصل بهواتفهما، ولكن ما من مجيب.. فتملّكه القلق أكثر، لأن الشمس بدأت بالغروب وقد تأخرتا جدًّا، وهنا قامت "حنين" بدورها في تهدئة قلق والدها بكلامها الرزين برغم قلقها هي الأخرى عليهما:

- يا حبيبي قلقان ليه؟ تلاقيهم قاعدين بيرغوا ولا حاجة والوقت سرقهم، زمانهم جا....

ولم تكمل حديثها حتى دقّ جرس الباب معلنًا قدومهما، فهبت "حنين" واقفة وذهبت مسرعة لفتح الباب وقالت بصوت منخفض:

- كنتوا فين كل ده؟ ده بابا قلقان قووي عليكوا.

فردّت سلمى بابتسامة:

- مش ناخد نفسنا الأول يا بنتي.

ذهبوا جميعًا إلى غرفة المعيشة حيث يجلس "شريف"، وما إن رآهما بخير حتى اطمأنّ قلبُه، وسألهما عن سبب تأخرهما، كانت "سلمى" ترد نيابةً عن "عشق" التي تحاول جاهدة عدم إظهار حزنها، وأخبرته "سلمى" بأن هناك حادثًا وكانت هي المتسببة فيه، وأن هناك شخصًا مُصابًا فذهبت به إلى المشفى، وأنه مصاب بارتجاج في المخ، وكانت تحتاج إلى أحد للوقوف معها. فحزن الأب على حال ذلك الشاب، وأخبرها إذا أرادت أي مساعدة فهو كوالدها تمامًا.

جلسوا على السفرة لتناول الطعام، واستأذنتهم "عشق" وهمّت بالقيام إلى غرفتها، ملجأها الوحيد، بينما ذهبت "سلمى" إلى منزلها المجاور لهم الذي يفصل بينهم سوى بعض الشجيرات.

***

(13)

ذهبت كلٌّ من "حنين" و"سلمى" إلى عملهما مبكرًا، حيث تستقلان السيارة معًا،كانت "حنين" جالسة على مقعدها الوثير، مُنكبّة على الأوراق التي أمامها.

تراجع بعضها وتعمل على البعض الآخر، ليقطع عملها صوت أحد تعرفه جيدًا ليقول:

- أهلا أهلًا، رجعتي إمتى يا حنين؟

ردّت على مضض قائلة:

- للمرة المليون اسمي آنسة حنين.

- حقك عليا يا آنسة حنين.. المهم أخبارك إيه؟

قالت ببرود:

- يا ترى في حاجة مهمة عاوزني فيها وما تكونش خارج حدود الشغل يا أ.شادي؟

- هو في بس مش داخل حدود الشغل.

قالت، وهي منشغلة بترتيب الأوراق التي أمامها:

- تقدر تتفضل عشان أنا مش فاضية.

ردّ عليها بثقةٍ وابتسامة رغم جفافها في التعامل معه:

- حاضر.

"شادي" شابٌ ثلاثيني، طويل البنية، أسود الشعر، نحيف إلى حد ما، يعمل مصممًا في شركة الديكور، معجب بـــ"حنين" منذ فترة طويله، وكلما حدّثها في ذلك الأمر تتحدّث معه بطريقة رسميةٍ أكثر، وتبتعد عنه، ولكن ما بالقلب حيلة.

***

كانت "عشق" في غرفتها تقوم بِكي ملابسها التي انتقتها جيدًا حتى ترتديها غدًا، أول يوم دراسة في الجامعة والسنة الأخيرة، كانت سعيدة لأنها ستلتقي بأصدقائها، وكانت حزينة لحال من دَقَّ له قلبها حزينة على ما وصل إليه الآن بسببها، أخرجت اللوحة من خزانتها وعلّقتها في أحد أركان الغرفة لتكون دائمًا أمام بصرها، ظلت تتأمّل نفسها في اللوحة، كمن يرى نفسه لأول مرة، وفي أثناء تأمُّلها دَقَّ باب المترل، فعقدت حاجبيها وخمّنت من الطارق في ذلك الوقت، فوقت انتهاء عمل شقيقتها لم ينتهِ بعد.. فنهضت لترى من الطارق؟

كانت "حنين" تُلملم أغراضها داخل حقيبتها، لأن وقت الانصراف قد حان،استقلت سيارتها وظلت منتظرة "سلمى" التي أتت على الفور.

وصلت الفتاتان إلى الحي الذى يقبعا به، وكانا يترجلان من السيارة لتقول "سلمى" بدهشة:

– هو مش اللي خارج من عندكوا ده معانا في الشغل؟

التفتت "حنين" لتنظر إلى ذلك الشخص لتراه مقبلًا باتجاهها بثقة والبسمة تعلو وجهه، فقالت باستنكار:

– شاااادي!

رد عليها بانتصار:

– أيوه، فاجئتك مش كده؟

– مفاجأة مهببة، كنت بتعمل إيه جوا؟

– لا دي مفاجأة بردو بس هما هيحرقوها لك.. بس مش مهم، المهم إني عملت اللي عاوزه.

نظرت إليه بكراهية وقالت:

– امشي من قدامي بدل ما ارتكب فيك جريمة.

رد عليها بثقة:

– همشي، بس هتلاقيني كتير هنا بعد كده.

ظلّت تفكر بأي شيء يقصد، فأسرعت نحو المترل، وما زالت "سلمى" مندهشة، دقت الباب بعنف لتفتح لها شقيقتها.

فسألت شقيقتها:

- هو الزفت ده كان بيعمل إيه هنا؟

ليظهر والدها والبسمة تعلو وجه:

- ألف مبروك يا بنتي جالك عريس.

ردّت مندفعه:

- مش موافقة يا بابا.

- مش تشوفيه الأول يا بنتي؟!

هدأت قليلًا ثم قالت:

- عن إذنكوا، أنا تعبانة وهطلع أنام.

تعجّبوا من ردة فعلها ما عدا "شريف"، الذي يعرف عقل ابنته وكيف يسير، فلم يندهش لردة فعلها.

***

كانت "عشق" تودُّ الذهاب إلى آسر، ولكنها لا تعرف كيف ستخبر والدها، وكلما حاولت الذهاب إليه ترددت، وفي النهاية قرّرت عدم الذهاب إليه اليوم، وقلبها لا يطاوعها على ذلك، فهي تريد الاطمئنان عليه وعلى صحته، ولكن تأتِ الرياح بما لا تشتهي السفن.

***

(14)

تسللت الشمس بأشعتها إلى غرفة "عشق" لتداعب عينيها فتهمُّ بالاستيقاظ لبدء مغامرة جديدة. توضأت وصلت ولم تنسَ آسر في دعائها. دعت له أن يتم الله شفاءه. وبدأت في تبديل الملابسها التي كانت عبارة عن بلوزة كريمي وبنطال جينز أزرق اللون، وضعت بعض اللمسات من مستحضرات التجميل، وعقصت شعرها فوق رأسها وأسدلت بعض الخصلات الذهبية التي قامت بصبغها – من قبل– على وجهها.

قبّلت والدها وشقيقتها التي كانت تُحضِّر الفطور وودعتهما. تمنيا لها يومًا دراسيًّا سعيدًا.

استقلت "عشق" إحدى سيارات الأجرة، وبعد نصف ساعة كانت قد وصلت إلى الجامعة. سعدت كثيرًا لرؤية أصدقائها، وبدأت المحاضرة فانطلقوا إليها.

كانت "حنين" جالسة على مكتبها مُديرة مقعدها، فكانت سارحة في الخارج عبر الزجاج الذي أمامها. كانت متعجبة من تجرؤ ذلك المغرور

الذي يُدعى "شادي". كيف له أن يذهب إلى مترلها بتلك السهولة دون أخذ أي قبول منها؟! . ظلت تفكر قليلًا إلى أن عقدت العزم على فعل شيء ما. وفجأة فاقت من شرودها وقررت تكملة ما تبقى لها من عمل. عندما التفتت بمقعدها تفاجأت بوجود "شادي" في مكتبها فقالت بصوت آمر:

- إطلع بره.

- كنت عاوز أقول لك بس إن.. .

لم يكمل جملته لأنها كانت هاتف مساعدتها وهي "سلمى" قائلة:

- بلغي مستر خالد إن أ.شادي سايب شغله ومش مهتم بيه. بسرررعة.

لم تفعل "سلمى" ما قالته "حنين" لأنها تعلم العداوة التي بينهما. على أثر تلك الجملة شعر "شادي" بالخوف من أن يخسر وظيفته، فتركها وذهب هو الآخر إلى عمله. تأففت "حنين" لوجود ذلك الشخص معها في الشركة. فهو حقًا لا يُطاق. وقالت لنفسها:

- ناس مش بتيجي غير بالعين الحمرا.

أخرجته من تفكيرها، وبدأت تهتم بعملها فقط، الذي يلهيها عن أي شيء آخر في العالم.

انتهت "عشق" من يومها الدراسي بالجامعة وودعت أصدقاءها واستقلت سيارة أجرة للعودة إلى المترل، ولكن قالت فجأة لسائق التاكسي:

- لو سمحت أنا عاوزه أروح مستشفى".. .. .. .. *

غيَّر السائق مسار الطريق للذهاب إلى المكان المنشود. وما إن وصلت "عشق" إلى المشفى حتى دلفت سريعًا إلى الداخل لترى "آسر". كانت تودُّ الدخول إلى غرفته، وبالفعل دلفت إلى الغرفة. وبدأ الحزن يغزو ملامح وجهها. فوجهه مغلف بالرباط الطبي ولا يظهر منه سوى ملامح وجهه. نظرت إليه وكأنها تراه للمرة الأولى. شخص شاحب اللون، لا يرى، لا يسمع، لا يتكلم، والكثير من الأجهزة موصلة به. حزنت كثيرًا عليه وعلى حاله. كيف لشابٍّ وسيم مثله أن يحدث له ما حدث؟ استغفرت ربها فهو أمر الله. أحضرت مقعداً بجانب فراشه وجلست عليه وتركت العنان لدموعها وهي تقول:

- ليه؟! ليه كده؟ حرام عليك اللي إنت بتعمله فيا ده. عارف أنا موجووعة أووي عارف ليه؟ عشان إنت في الأول أنقذتني وأنا عملت فيك كده، أن السبب في وجودك هنا. متخيل الفرق.

صمتت قليلًا لتأخذ نفسها ثم أكملت قائلة:

- شفتك مرتين بس لكن حاسة إني أعرفك من زمااااااااان. على فكرة إنت مبدع، رسام حلو أووي. عشان خاطري قوم وإرسمني تاني، إكتبلي شعر طيب. إوعى تسيبني بعد ما لقيتك.

وظلت تنحب وتصرخ قائلة:

- قوم يا آسر وبطل هزار إنت كويس وهتقوم يلا قووووم.

وهنا دخلت الممرضة وأخرجتها سريعًا من الغرفة حتى لا يؤثر ذلك على المريض. أعطتها الممرضة كوبًا من الليمون لتُهدئ أعصابها قليلًا وسألتها الممرضة:

- اسمك إيه يا جميلة؟

- عشق.

وظلت الممرضة تسألها أسئلة كثيرة ومنها:

- إنتِ تقربيله حاجة؟

ردت عليها وهي تأكد لنفسها قائلة:

- أنا خطيبته، أيوه خطيبته.

وعندما علمت الممرضة بذلك اختفت من أمام ناظريها قليلًا وكانت "عشق" همُّ بالقيام للعودة إلى المترل ولكن نادقما الممرضة وهي تمسك شيئًا ما في يدها.

***

وصلت كلٌ من "حنين" و"سلمى" إلى مترليهما وقبل أن تتركها "حنين" قالت لها:

- اللي اسمه شادي ده جاي النهارده تعالي بقا عشان انا هفرج عليه أمة لا إله إلا الله.

ردت عليها مقهقهة:

- يا بنتي أنا مش عارفة إنتِ حطاه في دماغك كده ليه؟ والله ده شكله شاب كويس، ووسيم حتى. مالك في إيه؟

- في إني مش بحب حد يتحداني، وهو بقى تحداني.

- طيب مش شايفة إنه واثق أووي من نفسه وبالذات من حركة إمبارح إنه يجي لحد عندكوا عشان يقول لعمو؟

- ما هي ثقته دي اللي مجنناني، بس المهم هستناكي.

- حاضر يا حبي.

انصرفت كلٌ منهما إلى منزلها لتستعدا لقدوم شادي الذي سيحمل كثيرًا من المفاجآت.

***

في المشفى، كانت الممرضة تنادي "عشق" وهي تمسك شيئًا ما في يدها. وعندما اقتربت منها أخبرها بأن هناك اتصالات كثيرة تأتي على هاتف آسر وأعطتها إياه. أخذته منها "عشق" على الفور ودسته في جيبها، وشكرتها كثيرًا وأعطتها بعد النقود وتركت معها رقم هاتفها لتخبرها بأي تطورات في حالة "آسر". سعدت الممرضة جدًا. وهمت بالذهاب إلى عملها. بينما اتجهت "عشق" إلى مكتب الدكتور الذي يتابع حالة "آسر" وأخبرها بأن حالته ليست مستقرة، وقال:

- إدعيله كتير يا آنسة، المريض ده لو ما فاقش خلال **24** ساعة كده هيبقى في خطر كبير أووي على حياته.

كفكفت "عشق" دموعها التي انسابت رُغمًا عنها. استقلت سيارة أجرة للعودة إلى المترل. ظلت تدعو له كثيرًا.

***

كان "شريف" و"حنين" يضعان الأطباق على الطاولة لتناول غذائهما. دَقّ جرس الباب فذهبت "حنين" لتفتح الباب وكانت شقيقتها فقالت بسعادة وهي تحتضنها:

- وحشتيني، شايفة البيت مضلم من غيرك إزاي؟

ردت عليها مازحة:

- لا قصدك شايفة تحضير الغداء من غيرك بقى بيدبسني إزاي؟

قهقهت الفتاتان، فهما يعرفان ما يدور في رأسيهما. قبلت "عشق" يد والدها. وجلسا معًا على الطاولة لتناول وجبتهم، ولم يتركها والدها الذي ظل يسألها عمّا فعلته طوال اليوم في الجامعة؟ وكيف كان يومها؟ وفي النهاية أخبرها بأن هناك من سيأتي اليوم لطلب يد لشقيقتها فسعدت كثيرًا لذلك الخبر. وعند انتهائهم من الطعام ذهب كلٌ منهما ليحضر ملابسه.

***

كانت "سلمى" في غرفتها تتحدث في الهاتف مع والدها ووالدتها اللذين يقبعان بالسعودية، أخبرتهما بكل ما يدور في يومها، وعن عملها وكل شيء. في أثناء ذلك دَقّ جرس الباب لتذهب إليه سلمى مسرعة وتفتحه وكانت "عشق" أمامها.

دلفتا إلى الداخل وقصت عليها "عشق" ما حدث اليوم في المشفى. أخرجت هاتف آسر من جيبها الذي أعلن وصول رسالة. فتحتها "عشق" وكانت عبارة عن:

- "فينك يا آسر يا ابني الدنيا مقلوبة عليك. مديرك في الشغل بيكلمني بيقول بالطريقة دي هيرفدك. طمني عليك يا ابني إيه الغيبة دي كلها".

لم تعرف ماذا تفعل فأخبرتها سلمى بأن ترسل لها رسالة نصية بدلًا من مهاتفتها لأن والدته رغمًا عنها ستقلق عليه. وكانت عبارة عن:

- "أنا بخير يا أمي ماتقلقيش عليا، الموبايل بايظ شوية فأنا مش عارف أرد على اتصالاتك سامحيني. قريب أووي هكون جمبك. لا إله إلا الله".

قالت سلمى لها:

- خلاص كده إحنا طمنا والدته.

- باقي نطمن إحنا عليه. ربنا يشفيه ويقومه بالسلامة.

- يا رب.

وظلتا تتحدثان معًا في موضوع آسر الذي كلما تحدثتا عنه بكت "عشق"، فإلى أى عُمقٍ ستحبه يا تُرَى؟

***

في المساء كان "شادي" وأسرته بمنزل "شريف". قام "شريف" بالترحيب بهم، وخرجت "حنين" التي كانت ترتدي فستانًا وردي اللون مع حجابها الوردي. كانت كالزهرة التي تزهو فى البستان. ما إن رأتها والدة "شادي" حتى قالت:

- بسم الله ما شاء الله، والله وعرفت تختار يا ابني زي القمر.

ردت عليها "حنين" على استحياء:

- ده من ذوق حضرتك يا طنط.

قدمت كلٌ من "عشق" و"سلمى" المشروبات والجاتوه . وكان الوالدان يتحدثان في كثير من الأمور. التي ملت منها "حنين" فهي تريد إنهاء كل هذا، ولكن على طريقتها. هنا أردف والد شادي قائلًا:

- إحنا جايين النهارده عشان نطلب إيد بنت حضرتك حنين لابنى شادي.

- ده طبعًا شرف ليا.

فأردفت والده شادي سريعًا:

- طيب ندخل إحنا البلكونة ونسيبهم يتكلموا شوية.

كاد والد حنين يرفض ولكن هذه فرصة "حنين" فقالت:

- بس خلي إخواتي قاعدين معايا.

وافق "شريف" على ذلك وتركهما ليتحدثا. وهنا قامت "حنين" بالتحول من الفتاة التى ترد على إستحياء، إلى المرأة القوية الجريئة في حديثها. نظرت له "حنين" والشر يتطاير من عينها وأردفت قائلة:

- نبدأ بقى في الأسئلة.

وأكملت باستهزاء:

- ولا مش مذاكر كويس؟

رد عليها بثقة:

- اتفضلي.

- إيه الانجاز اللي حققته في حياتك؟

ازدرد ريقه وهمَّ بالرد ولكن قاطعته "حنين" قائلة:

- عارفة، مفيش. يا ترى فى المستقبل هتخليني أشتغل ولا هتقعدني في البيت؟

كان هذا السؤال النقطة الفاصلة لها لكل شخص يتقدم لها وهي تعرف أن الإجابة دائمًا لا، فكانت تعرف إجابته من قبل أن يتفوَّه بها. فرد على سؤالها قائلًا:

- أكيد مش همنعك عن حاجة بتحبيها.

هنا صُدِمَت "حنين" من إجاباته التي كانت لا تتوقعها. ولكنها لم تستسلم، فأكملت قائلة:

- بس أنا بسافر كتير ومش بستقر في مكان واحد على طول.

رد عليها على مضض:

- وأنا موافق يا ستي.

- و..وبتعامل مع ناس كتير وساعات شغلي بيبقى طول اليوم.

- هبقى أظبط يومي أنا كمان عشان نروح مع بعض.

- ومش بعرف أطبخ ولا أنضف ولا أمسح ولا أي حاجة.

كانت "عشق" و"سلمى" تقهقهان على أسلوبها، فهي تريد (تطفيشه) بأي شكل من الأشكال، فقالت "سلمى" بصوتٍ عالٍ نسبيًّا:

- الراجل هيتعقد حرام عليها، بصي يا عيني الواد وشه أصفر ليمونة.

ردت عليها "عشق" بصوت منخفض مقهقهةً:

- أنا أختي قوية ومفترية.

ولم تكفا عن الضحك عليهما قط، وفضلتا الصمت حتى يذهب الضيوف.

ظلت "حنين" تعرض عليه الكثير من الأسئلة التي سببت في إحراجه لأن إجابته دائمًا تكون (لا). فقالت "حنين" بانتصار:

- المقابلة انتهت، تقدر تتفضل

قالت "سلمى" بصوت منخفض:

- هي فكرة نفسها في الشركة وبتعمله إنترفيو.

وأكملت مقهقهةً:

- الله يكون في عون اللي هيتجوزها والله.

انضم الوالدان و"شريف" للجلوس معهم وظلوا يتحدثون في أمور كثيرة وساد بينهم السرور. استأذنوا للقيام لأن الوقت قد تأخر وسلم عليهم شريف بحرارة. ووعدهم بالرد في أسرع وقت.

ذهبت الفتيات إلى إحدى الغرف وكانت "حنين" سعيدة للغاية، لكنها عكس أي شخص فهي سعيدة لأنها سترفض شادي دون تفكير، فهو ليس فارس أحلامها أو كمن رسمته في خيالها. ظلت تدور في الغرفة كالأطفال وهي تغني. كانت الفتاتان تنظران إليها باندهاش ولم يتركاها وحدها بل ظلتا تدوران حولها. دخل عليهنّ "شريف" ورآهنّ في قمة سعادتهنّ، كانوا كالورود التي تزهو وتملأ الكون حولهم بهجة وسعادة، فسعد كثيراً لسعادتهنّ.

***

جلست "عشق" على فِراشها وأمسكت بهاتف آسر وفتحت الصور لتندهش من أن معظم الصور لها. لفت انتباهها صورة لها بعروس للبحر ومُدَوَن عليها:

يا سيّدتي:

كنتِ أهم امرأةٍ في تاريخي

قبل رحيل العام.

أنتِ الآنَ..

أهمُّ امرأةٍ بعد ولادة هذا العام..

أنتِ امرأةٌ

لا أحسبها بالساعاتِ و بالأيّام.

أنتِ امرأةٌ..

صُنعَت من فاكهة الشِعرِ..

و من ذهب الأحلام..

نزار قباني

كانت عشق سعيدة للغاية، أغلقت جفونها وهي تشعر بالسعادة.

***

(15)

مع صباح يوم جديد استيقظت "حنين" وما زالت السعادة تغمر قلبها، ففي معتقداتها أنها لا تترك شخصًا يقف أمامها ويتحداها، وبالفعل تحداها "شادي"، الذي يظنُّ أنها ستُسحر بجماله ووسامته، وهذا آخر شيء تهتم به "حنين". فهي لا تحبُّ أو تفسر الشخصية التي أمامها على حسب جمالها الخارجي بقدر ما تحب الرونق الداخلي وتشابه من أمامها في أفكارها.

ذهبت إلى الشركة، وعلى غير العادة سلمت على كل مَن يمرُّ بجانبها بابتسامة قائلة:

- صباح الخير.

تعجب البعض بينما سعد الآخرون. ظلت تعمل بحب فوق حبها لعملها فأنجزت الكثير. طلبت من الساعي أن يحضر لها كوبًا من القهوة التي لا تستطيع العمل بدونها.

في الجامعة كانت "عشق" جالسة مع صديقاها على طاولة في الكافيتريا الموجودة بالجامعة. ظلت تعرض عليهم بعض الأسئلة التي كانت كالآتي:

– لو شفتي حد مريض وتعبان وقلقتي عليه أووي وفضلتي تعيطي لتعبه ده يبقى اسمه إيه؟

اختلفت الإجابات من فتاة لفتاة فردوا عليها قائلين:

– ده إشفاق على المريض.

– دى الإنسانية، إنك تحسي بغيرك وتقلقي عليه.

– إنتِ اللي قلبك رهيف يا عشق.

– ده اسمه حب، لو لاقيتي نفسك خايفة على الشخص اللي قدامك وبتبكي عشان مش جمبك. هو ده الحب بعينه.

ظلت الإجابة الأخيرة تردد على مسامع "عشق" (هو ده الحب بعينه). ظلت شاردة في تلك الجملة. هل هي حقًا وقعت في براثن عشقه؟ أم أنها تشفق عليه لما حدث له؟ ظلت تفكر كثيرًا وكأن هناك حربًا تنشب بداخلها. انتبهت لرنين هاتفها الذي لم يكُف. كان رقمًا غير مسجل عندها، فردت على هاتفها الذي ما إن ردت لم يُعطِها المتصل فرصة للرد:

– آنسة عشق معايا؟ ده أنا جايبالك خبر بمليون جنيه. إنتِ ما..

لم تتركها" عشق" تكمل كلامها فهي كما يقولون (بالعة راديو) فقاطعتها قائلة:

- مين معايا؟

- أنا الممرضة بتاعت المريض آسر بيه فاكراني؟

تذكرها على الفور وسألتها بشغفٍ قائلة:

- أيوه أيوه، المهم طمنيني في جديد؟

- أمال إيه؟ ده المريض بدأ يفوق أهو ومفيش على لسانه غير اسمك.

كانت تلك الجملة لعشق هي الدنيا وما فيها، فقالت بسعادة:

- أنا جاية حالًا.

أخذت حقيبتها ولم تُعِر صديقاها أي اهتمام، وهبّت واقفة، وانطلقت خارج الجامعة. فهي سعيدة جدًّا لسماع ذلك الخبر.

***

انتهت كلٌّ من "حنين" و"سلمى" من عملهما. واستقلتا السيارة ليعودا إلى المترل. وتذكرتا أن "شريف" سوف يتم الستين عامًا غدًا. فقرارتا أن يتفاجئاه لأنه يستحق السعادة. غيرت "حنين" مسار طريقها وذهبا إلى مكان ما ليستعدوا لذلك اليوم.

وصلت "عشق" إلى المشفى وشعرت أن قلبها كالطائر يحلق في السماء. في ذلك الوقت كانت الممرضة تعطي "أسر" دواءه بعد أن إطئن الطبيب على حالته وأصبحت الكدمات والخدوش بوجهه بحاله افضل مما سبق - لكنه لم يشفى منها بعد- وقالت له:

- خطيبتك دي بتحبك أووي ربنا يخليكوا لبعض والله، لو تشوفها يا حبة عيني وهي منهارة الفترة اللي فاتت دي، كانت كل يوم تيجي ملهوفة وتسأل عليك. لدرجة إن الدكتور امبارح قال لها إنك لو مافقتش خلال 24 ساعة حياتك هتكون في خطر فضلت مموتة روحها من العياط وفضلت تصرخ، ده أنا حتى طلعتها من الأوضة بالعافيه. ياه يا سي آسر، لو كنت شفت شكلها الفترة اللي فاتت، هتحلف لاتعيشها طول حاياتها في سعادة.

ظل يستمع إليها وهو في حالة اندهاش، لدرجة أنه ظنَّ أنه حقًا فَقَدَ ذاكرته، فسألها مستنكرًا:

- خطيبتي؟ هو أنا خاطب أساسًا.

- أيوه هي قالت لي كده. ربنا يخليكوا لبعض.

- طيب فكريني كدة اسمها إيه؟

كادت الممرضة أن ترد عليه ولكن "عشق" دلفت إلى الغرفة فقالت الممرضة:

- جيتي على السيرة.

وخرجت من الغرفة لتكمل عملها، لتتركه وهو غير مصدق ما سمعها منها، أكد لنفسه آلاف المرات أنه في حلم وليس حقيقة. حتى قالت "عشق" بصوتها العذب:

- ألف حمدلله على سلامتك.

ووضعت بجانبه بوكيه ورد باللون الأحمر. ظل ينظر إليها وهو غير مصدق ما يحدث، هل هذه حقيقة؟ هل عشق أمامه حقًّا أم أنه ما زال يحلم؟ أفاق من شروده حينما سمعها تقول وهي تهمُّ بالخروج:

- أنا بس كنت بطمن عليك وإن شاء الله تقوم بالسلامة.

ظَلَّ ينظر إليها بدهشة حتى لاحظت عشق ذلك، فأعطته ظهرها وظلت تقهقه على مظهره وهو فاغر فمه وكادت تخرج إلى أن أوقفها متسائلًا:

- هو إنتِ عرفتي مكاني من مين؟

- من سلمى، سلمى هي اللي جابتك هنا على المستشفى.

أكملت قائلة بفضول:

- كنتوا بتنموا عليا تقولوا إيه؟ ها؟

ضحك على أسلوبها في الحديث وقال لها:

- كانت بتقول لي خطيبتك كانت هتتجنن عليك.

احمرت وجنتاها من شدة الخجل وقالت متلعثمة:

- أيوه أنا قلتلها كده عشان ما كنتش عارفة أقول لها إيه. إوعى تكون زعلت.

- ومين قال لك إني زعلان ده أنا مبسوط أووي عشان هحققلك اللي قلتيه.

لم تستطع تحمل كلامه وزاد خجلها أكثر فهمت بالقيام ولكن أوقفها بسؤاله:

- ممكن أطلب منك طلب؟

- أكيد اتفضل.

- ممكن تقعدي كمان شوية؟

ابتسمت عشق لعفويته والسعاده التي تملأ عينيه فوافقت بالطبع، فهي أيضًا لا تريد أن تتركه بعدما عاد مرة أخرى للحياة. وما زالت تلك الكلمة تتردد على مسامعها (هو ده الحب بعينه). ظلا يتحدثان معًا والحب يملأ قلوبهما. مر الوقت سريعًا فاستأذنت حتى لا تتأخر. كانت "عشق" تنظر له وكأنها المرة الأخيرة التي ستراه فيها، لا تعلم لماذا ولكن هذا الشعور كان يراودها. دائمًا تمر الأوقات السعيدة سريعًا، ولا نستطيع الاستمتاع بها على أكمل وجه (...).

***

(16)

كان "شريف" جالسًا في غرفته على مقعده الوثير، يقرأ كتابًا قد انتقاه من مكتبته التي تعدت الالف كتابٍ. فالكتاب بالنسبة له الشيء الوحيد الذي يُؤنس وحدته بعد وفاة زوجته، فكلما كان الشخص يقرأ أكثر، كلما أصبح يفهم مشاعر الآخرين بسهولة أكثر. انتبه لصوت هاتفه الذي همّ بالقيام لرد عليه وكانت "عشق" فرد عليها بحب قائلًا:

- حبيبة بابا عامله إيه؟

ولكن تعجب حين سمع صوت فتاة أخرى ترد عليه وتقول بخوف:

- حضرتك والد عشق؟

وقع قلبه على تلك الجملة خوفًا على ابنته فرد سريعًا والخوف يتملكه:

- أيوه أنا والدها، بنتي مالها هي بخير؟

- للأسف هي أغمى عليها وبنحاول نفوقها.

فقال بغضب خوفًا على ابنته:

- إنتِ بتقولي إيه؟ إديني العنوان بسرعة.

وبالفعل أعطته العنوان وكان في ذلك الكافيه الذي تقصده عشق دائمًا. بدل ملابسه على عجله واستقل سيارة أجرة وظل يدعو الله لابنته. فهو لا يحب أن يرى فيها مكروهًا أبدًا، وكذلك شقيقتها.

***

وصل "شريف" ودخل إليه مسرعًا ليتفاجأ بما رآه. وأمسك قلبه وحمد الله كثيرًا إن ابنته بخير. كان الكافيه يتوسطه طاولة كبيرة وحولها بنتاه اللتان يعشقهما، بل لنقل إنه يدمنهما، فهما حياته وكل ما يملك. وملآ بالبلالين بكل ألوانها وأشكالها. وظلتا تغنيان له:

الليلة الليلة

وهنعمل ظيطة وهو ليلة

الليلة الليلة

حوالين التورتة هنتلم وشوية هتتاكل هم

من كل الأصحاب والعيلة

سقفوا زقططوا غنوا إتنططوا

ومحدش يفضل مطرحه.

إرسموا لونوا يلا إتجننوا

عايزنكو كلكو تفرحوا

سَقَّفُوا زقططوا غَنُّوا إتنططوا

ومحدش يُفْضَل مَطْرَحهُ

إرسموا لَوَنُّوا يلا إتجننوا

عايزنكو كلكو تفرحُوا

أجَمِل عِيد مِيلاد الليلَة

الليلَة الليلَة

وهنعمل ظيطة وهوليلة

الليلَة اللَيْلَة

حالًا بالًا كل الجمع يجي أوام هنطفي الشمع

ونغنيله أغاني جميلة

مين عيد ميلاده الليلة.

كانتا تلتفان حوله وتمسكان الشمع، سعدتا جدًّا لرؤية السعادة في عينيه.

وعندما انتهوا قبلتا "شريف" متمنين له عامًا سعيدًا. سعد كثيرًا لتلك المفاجأة وقضوا يومًا سعيدًا مليئًا بالبهجة والسعادة، حتى "سلمى" عاشت معهم في جوٍّ أسري سعيد افتقدته مع أسرتها. بل حمدت الله على هذه النعمة.

في يوم الجمعة، وهو العطلة الرسمية. استيقظت الفتيات وقت الظهيرة. فحقًا ما أجمل النوم والاستيقاظ دون وقت محدد، يعطي شعورًا بالسعادة لصاحبه. استيقظت "حنين" من نومها وأدت فريضتها. وذهبت لإحضار

الفطور، ولكن "شريف" بالفعل كان يصنع الشطائر، فقالت حنين مداعبة والدها:

– الله الله لما بابا يعملنا الفطار وهو رايق كده.

– حبيبة بابا إنتِ، يلا إيدك معايا بقى عشان نلحق نخلص الفطار قبل ما التتار يهجم علينا.

قهقهت على جملته الأخيرة، فهو يقصد بها عشق وسلمى. وبالفعل ساعدت "حنين" والدها، فأمسكت بهاتفها في أثناء وقوفها في المطبخ لتهاتف صديقتها وتخبرها مقهقهة ألّا تتأخر، لأنه سيُقضى على الأخضر واليابس. استيقظت "عشق" هي الأخرى ودخلت المطبخ لترى ما الطعام، وفجأة رأت نارًا تشتعل في القماشه التي تمسك بها شقيقتها، وظلت تصرخ حتى تنتبه حنين، ولكنها كانت مشغولة بالهاتف. وعلى صراخها جاء والدهما وأطفأ النار.

جاءت "سلمى" والتفوا جميعًا حول الطاولة. ولم يكفوا عن الحديث، حيث قالت "عشق لشقيقتها:

– بقى كنتي بتتريقي إني سيحت الجبنة وإنتِ واقفة قصاد البوتجاز وماده إيدك بفوطه المطبخ!

وأكملت مقهقة:

– ما أكيد هتقيد نار أمال إنتِ فاكرة إيه؟ ساقطة علوم!

ردت عليها حنين بغيظ:

- كلي وإنتِ ساكتة يا حبيبتي.

جلسوا يقهقهون جميعًا على أسلوبهما. وظل "شريف" يحكي لهنّ عن تاريخه كأي أب يفعل ذلك وهو سعيد لإنصات أولاده له.

***

في الحديقة الملحقة بالمنزل كانت تجلس كلٌّ من "عشق" و"سلمى" على الأرجوحة، لتسترخيا قليلًا. فكان الهواء يداعب خصلات شعر عشق. نظرت إلى السماء وأغمضت عينيها وظلت تقصُّ على سلمى ما حدث أمس بالمشفى. عندما انتهت عشق فتحت عينيها ونظرت لها قائلة:

- تفتكري كان قصده إيه؟

- مش محتاجة يا بنتي قصده إنه هيجي يطلبك طبعًا.

- لا بس أنا مش حاسة كده. أنا الفترة دي قلبي مقبوض أووي، مش عارفة ليه؟

- دي أعراض عدم المذاكرة.

ولكزها في يدها قائلة:

- قومي ذاكري بدل ما نحكي لحنين وخليها هي تظبطك.

ردت عليها سريعًا:

- إلا حنين عشان خاطري. تحسيها كده بتطارد الحب مش عارفة ليه؟

- يا بنتي حرام عليكي دى حنين ب..

لم تكمل جملتها لأنهما صرختا على صوت حنين وهي تقول:

- بتنموا عليا.

ردت عليها سلمى بطفولة:

- مش أنا يا بيه دي هي.

لكزها عشق وقالت ببراءة:

- أنا.. أنا ما..

ولم تكمل جملتها لأنها قفزت من الأرجوحة لتفرّ من أمام شقيقتها، ولكن حنين لم تتركها، بل ظلت تجري خلفها وتبعتهما سلمى. كان صوت ضحكاتهنّ يملأ المكان،وأمسكت حنين بشقيقتها وأوقعتها على الأرض وظلت تدغدغها، ويقهقهنَ جميعًا. ففي داخلهنّ تلك الطفلة التي لا تُريد أن تكبر. خرج "شريف" إليهنّ وقال بصوتٍ عالٍ:

- عندي 3 بنات كبار بس عيااال اوووي.

وفتح ذراعيه ليذهبا إليه سريعًا وقال:

- ربنا مايحرمنيش منكوا أبدًا

***

(17)

في صباح يوم جديد أشرقت الشمس بنور ربها، وامتلأ المكان بزقزقة العصافير التي دائمًا تعطينا أملًا في الحياة. وصوت فيروز مع كوب قهوة. فما أجمل ذلك الصباح! صباح يملؤه التفاؤل والحيوية والنشاط. كانت "حنين" جالسة على مكتبها القابع في غرفتها. كانت ترتدي بيجامة أرجوانية اللون، وربطت شعرها بالقلم فانسدلت بعض خصلاته السوداء على وجنتيها، وكانت ترتدي نظارتها الطبية.

أمسكت بمذكرتها وفتحت صفحة جديدة لتدون بها ما يخطر على بالها على صوت فيروز الذي تعشقه، كانت تدون في مذكرتها الآتي:

***

"كبرياء

قاعدة في أوضتها.. سرحانة في ذكرايتها.. بتفتكر أيام.. كانت فيها سعيدة، وفجأة نزلت دمعة من عنيها..دمعتها خانتها، وكانت بين إديها، وقاعدة بتفكر..حصل إزاي وإمتى،وفجأة.. مسحت دموعها.. وحطّت كحل عينيها.. أصلها إتعودت تحطه.. عشان تخبي بيه دموع عينيها.. وطلعت قصاد الكل فرحانه وسعيدة.. أصله مش من عادتها.. إنها تبان مكسورة وحزينة.. بنت الكبر ماليها.. وبقى كل شيء ليها.. بتكابر حتى في حزنها.. ومش عاوزه حد يكون حواليها.. بعدت عن كل الناس.. وفضلت القاعدة من غير وجع الراس.. اتعودت تكتب كل شيء فيها.. فرحتها وحزنها.. حتى دموع عينيها.. وطلعت قصاد الكل مبسوطة وفرحانة.. أصلها قررت إنها ماتكونش حزنانة.. وتقرب من كل شيء بتحبه، وتبعد عن كل شيء يحزنها.. اتلخصت راحتها في رواياتها وكتابتها".

تركت حنين مذكرتها وأمسكت بكوب القهوة لترتشف منه وهي منصتة لتلك الكلمات التي قالتها فيروز:

" تا أعرف لمين وما بعرف لمين

عديت الأسامي ومحيت الأسامي ونامي يا عيني إذا راح فيكي تنامي

وبعدو هالحنين من خلف الحنين. الحنين بالدمع يغرقني وبأسامي المنسيين"

أخرجها رنين هاتفها من عالمها الخاص كانت تودُّ لو أن تقذف به من النافذة حتى تستمتع قليلًا.

***

كانت "عشق" واقفة أمام خزانة ملابسها فوق ما يقارب ساعة ونصف الساعة لتنتقي لها شيئًا ترتديه. في النهاية انتقت لها بلوزة ذهبية وبنطالًا أسود اللون، وعقصت شعرها على هيئة ذيل حصان.

استقلت سيارة أجرة وانطلقت للذهاب إلى المشفى.

في داخل المشفى طرقت "عشق" باب غرفة آسر. أُذِن للطارق بالدخول. كان يمسك ورقة وقلمًا ويُدوِّن شيئًا، ما أرادت عشق أن تعرفه وبشدة. عندما رفعه رأسه ليرى من الذي دلف للغرفة. وتفاجأ بأنها "عشق" تلك الفتاة التي لم ولن تغادر باله أبدًا، وعندما رآها ابتسم مغرماً مدركاً بأنه فى فخ عيناها قد وقع. فترك ما كان ممسكًا به وقال لها بابتسامة لم تفارق وجهه منذ أن رآها:

- أهلا بيكي يا عشق، نورتي المكان والله.

لم تعرف ماذا تقول فردت على سؤاله بسؤال آخر:

- إزيك يا آسر.

- بخير الحمد لله.

أخرجت من حقيبتها السوداء هاتفًا محمولًا ومدت له يدها قائلة:

- اتفضل ده الموبايل بتاعك.

- شكرًا ليكي ده أنا كنت ناسيه خاااالص.

- العفو على إيه. هي والدتك اتصلت عليه كتير أووي

فخُطِف لون وجهه فأكملت هي قائلة:

- ماتقلقش أنا بعت لها رسالة وطمنتها عليك. بس في مشكلة؟

- خير في إيه؟

قالت بخوف وهي تترقب ردة فعله:

- في الرسالة والدتك كانت بتقول إن المدير هيرفدك عشان غبت كتير عن الشغل.

كانت الصدمة على وجهه ولكن ردة فعلته صدمت عشق فهي لم تتوقع منه هكذا.

***

التقطت "حنين" هاتفها لتجد أنه رقم الشركة، فأخفضت صوت الراديو لتستطيع إجراء المكالمة. كانت سكرتيرة المدير. أخبرها ألّا تتأخر غدًا لأن هناك عملًا مُهمًّا وهي التي ستتعامل معه. وافقت حنين على الفور وقالت بصدر رحب:

- أكيد إن شاء الله.

وأغلقت معها وهي تشعر بالسعادة. كانت تريد التنزُّه في أي مكانٍ، فهاتفت "سلمى" لتذهب معها في أي مكان تحددانه. ولكن أخبرتها "سلمى" أنها ستذهب لزيارة تلك المريض الذي تعرض لحادثة في أثناء عودتها من الإسكندرية. عرضت عليها "حنين" أن تذهب معها، ولم تستطع سلمى منعها.

***

كانت الصدمة على وجه "آسر" ولكن ردة فعلته صدمت "عشق" فهي لم تتوقع منه هكذا، فأردف قائلًا:

- الحمد لله على كل شيء.. هو صحيح الشغل ضاع مني بس لقيت اللي عندي بالدنيا كلها.

خَفَقَ قلب عشق على أثر جملته فاستأذنت بالمغادرة للعودة إلى منزلها مرة أخرى.

***

في المشفى كان آسر يتحدث في هاتفه:

- يا أمي ما تقلقيش عليا أنا هحكيلك كل حاجة أول ما أجي إن شاء الله.

- .. ..

- ربنا هيدبرها من عنده والله ما تقلقيش.

- .. ..

- يا أمي مش دايمًا تقوليلي قل لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا؟

- .. ..

- حاضر يا حبيبتي أنا مش عاوز غير دعوتك.

- .. ..

- محمد رسول الله.

أغلقَ مع والدته وظل يفكر في عمله الذي خسره، وكيف سيحصل على وظيفة. قطع تفكيره صوت طرق الباب، فأذِنَ للطارق بالدخول.

كانتا "سلمى" و"حنين"، رحَّب بهما وظلتا تطمئنان عليه وعلى صحته، بينما كانت تنظر إليه "حنين" كالصقر فهي تُشبِّه على تلك الملامح. فسألته قائلة:

- أنا متأكدة إني شفتك قبل كده.

صمتت لبرهة وأكملت مفكره محاوله التذكر جيداً:

- مش إنت ..عشق... فى إسكندريه مش كده!!.

- أيوه أنا.

فكان لا يعرف أنها شقيقة "عشق" فابتسم لها وأكملت هي متسائلة:

- بس مش غريبة يعني إنك تكون مسافر في الوقت اللي سلمى مسافرة فيه؟ ومش كده وبس لا في نفس الوقت كمان.

شعرت سلمى أن صديقتها لن تتركه وستحقق معه، فلطفت الجو وقالت سريعًا:

- ي إيه يا بنتي إحنا جايين نطمن عليه هو أكيد لسه تعبان بردو.

نظرت لها حنين بشك لأنها تعلم أن هناك شيئًا ما يخفونه عليها فقالت:

- طيب إحنا هنستأذن بقا. وألف حمد لله على السلامة

رد عليها آسر سريعًا موجهًا كلامه إليها:

- ممكن أطلب منكك طلب وياريت ما تخذلينيش.

- لو في إمكاني أكيد مش هتأخر عليك.

- ممكن رقم والدك؟

نظرت له "حنين" وحدقت عينيها وقالت بصرامة:

- وحضرتك عاوزه في إيه؟

رد عليها بتلعثم مترقبًا ردة فعلها:

- أصل أنا عاوز أطلب إيد الآنسة عشق.

ابتسمت له ابتسامة خفيفة ودونت الرقم في ورقه وأعطته إياها. ولكن لم يقف عقلها عن التفكير. هل يتقدم شاب لفتاة لم يَرها سوى مرة؟ فهو أمر لا يُعقل.

استأذنت الفتاتان للمغادرة، ولكن رأت "حنين" شيئًا ما مُلقًى على الأرض فجحظت عيناها من صحة ما دار في عقلها، أخذته سريعًا دون أن يلاحظ أحد ووضعته في حقيبتها. ثم خرجا من المشفى وقالت "حنين" لصديقتها:

- معلش يا سلمى أنا مش هقدر أسوق تعالي مكاني.

أذعنت سلمى لطلبها، لأن حقًا لون وجهها قد شحب فجأة.

***

كانت "عشق" جالسة على حاسوبها النقال على حسابها الشخصي بالفيسبوك. ظلت تقرأ بعض الإشعارات التي جعلتها ترى نفسها فيها ولفت انتباهها تلك الجملة (وما الحب إلا رزق فلا تستعجلوه، ولا تتصنعوه، وإن جائكم فلا تتضيعوه!).

ظلت تدعو الله كثيرًا أن يجعل آسر من نصيبها. وفجأة فُتِحَ باب غرفتها على مصراعيه وكانت شقيقتها، فقالت لها وهي ما زالت تنظر لشاشة الحاسوب:

- كنتي فين يا حبيبتي؟

لم تتلقَّ منها أي ردٍّ، فتعجبت لعدم ردها عليها، فكررت سؤالها ولكن ما من مجيب. تركت الحاسوب ووقفت أمام شقيقتها قائلة:

- مالك يا بنتي متنحة كده ليه؟

سألتها برسمية:

- فين السلسلة بتاعتك يا عشق؟

تحسّست "عشق" رقبتها بأناملها الرقيقة، ودقَّ قلبها بشدة. ظلت تنظر إلى الأرض بعشوائية، ولكن لا يوجد أثر. فهي قيمة بالنسبة إليها. أهدتها حنين لشقيقتها حين تفوّقت في الثانوية، مُدوّن عليها اسم عشق بطريقة مميزة، ومصنوعة من الذهب. بدأت دموع عشق في الانسياب قائلة:

- مش عارفة.. مش عارفة بس أنا متأكدة إني ماقلعتهاش.

فرت "عشق" من أمام شقيقتها، وظلت تبحث عنها في أدراجها وإكسسواراتها ولكن دون جدوى. جلست "عشق" على فراشها بعدما باءت محاولاتها بالفشل. قالت لها "حنين" وهي ممسكة بالسلسلة في يدها:

- أهي يا عشق.

لم تصدق عشق عينيها، وأخذتها من شقيقتها وقالت لها وهي تمسح دموعها:

- حرام عليكي والله، يعني هي معاكي وخلتيني أقلب الدنيا عليها؟

ارتدتها "عشق" وهي سعيدة ثم قالت بتساؤل:

- بس إزاي هي معاكي وأنا كنت لابساها؟

ردت عليها "حنين" قائلة وهي تترقب ردة فعلها:

- لاقيتها في المستشفى.. المستشفى اللى آسر محجوز فيها.

صُدمت "عشق" وبدأ لون وجهها في التغيير وارتبكت قليلًا. أدارت وجهها للخلف وقالت متلعثمة:

- إيه اللي بتقوليه ده؟ وبعدين إنتِ رحتي هناك إمتى؟

لم ترد على سؤالها لتتركها في حيرة وسألتها قائلة بحزن:

- ليه مش بتاخدي رأيي يا عشق هو مش أنا أختك بردو وأكيد عارفة مصلحتك؟

دلفت سلمى إلى الغرفة وقالت:

- مش بتقول يا حنين عشان إنتوا عكس بعض في التفكير تمامًا، محدش فيكوا هيقدر يفيد التاني بالعكس، إنتوا هتلغبطوا بعض جدًّا. إنتِ يا حنين أهم حاجة في حياتك الشغل وبس مش بتدي فرصة لإنك تجربي حاجة جديدة أو تعيشي بطريقة مختلفة. عشق سبحان الله عكسك تمامًا، أنا متأكدة إن اللي سماها عشق، سماها كدة عشان تعشق كل حاجة، كل حاجة بمعنى الكلمة حتى لو هتخاطر بحياتها بس تعيش حاجة جديدة ومختلفة. حتى لما عشق بتيجي تحكيلك حاجة أو حتى قصة حب جديدة، بتقوليلها كل ده كلام فارغ ومش مهم، عمرك ما حسيتي إحساسها وهي في الموقف ده. ده حتى الولد اللي في المستشفى هي ما قدرتش تيجي تحكي

لك عنه، عارفة ليه؟ ببساطه لإنك مش هتقيمي الموضوع من وجهة نظرها.

بكت حنين ولأول مرة تبكي علنًا وقالت:

- مهما كان فهي أختي وهخاف عليها وعلى مصلحتها. ومش هكرهلك حاجة بتحبيها.

ارتمت عشق في أحضان شقيقتها وقالت باكية:

- ربنا يخليكي ليا يا حنين. أنا بحبك أووي والله.

كان "شريف" يمر في الطرقة وفجأة انتبه لحديثهنّ، فدخل الغرفة وقال بابتسامة حنون:

- الله وكبرتوا يا بنات.

انتبهوا إلى "شريف" الذي سمع حديثهنّ، فكان منهن الخائف والمصدوم ومنهنّ من تقبل الأمر. فشريف كأب كان متفهمًا للغاية. فهو المعنى الحقيقي للرجل الحنون. تقدم "شريف" نحوهنّ وجلس على الأريكة المقابلة لهنّ وقال:

- أنا هسألكوا سؤال واحد يا بنات. لو إتعرض على كل واحدة فيكوا إنها تتجوز من راجل كويس وبيحبها هتوافق؟

ردت "عشق" قائلة:

- أكيد طبعًا هوافق، هي أنا اتمنى إيه في الدنيا غير كدة، إنسان كويس وخلوق يشجعنى على كل حاجة بحبها، يشاركني أوقات جناني وهبلي، وتبقى حياه سعيده.

بينما ردت "حنين" قائلة:

- لو هيسيبني أشتغل ويبقى عارف إني ممكن أسافر في أي وقت تبع الشغل، وإن في مواسم معينة بشتغل فيها فترة طويلة، ويتقبل إني مش بحب حد يتحكم فيا ولا في أسلوبي، يشجعني ويحسسني إنه فرحان لنجاحي. ساعتها أقدر أوافق.

ردت "سلمى" قائلة:

- هوافق، طالما مش هيلغي شخصيتي. وهنعيش متفقين دايمًا. هوافق لإن واحد زائد واحد إتنين، هوافق عشان محدش يقدر يعيش العمر كله لوحده بدون أشخاص حواليه، هوافق لإن محدش يقدر يعيش وحيد. زي ما إنتوا عارفين إن ماما وبابا مسافرين، وأنا قاعدة لوحدي. تفتكروا لو كملت حياتي كلها وأنا عايشة لوحدي هكون كويسة ومبسوطة أكيد لأ، عشان كده هوافق.

ابتسم "شريف" لإجاباتهنّ المختلفة وأردف قائلًا:

- أنا مستغربكوا جدًا، طريقة تفكيركوا مختلفة ومتميزة، رافضين بينكوا وبين نفسكوا إنكوا تكونوا تقليديين، يعني مجرد نسخة مكررة من غيركوا، ليكوا نكهة حلوة وسط أصدقائكوا، ده حتى كمان بتخترعوا

لنفسكوا طقوس وقت الحزن، وطقوس وقت الانبساط. راجعوا نفسكوا أكيد هتلاقوا غلطات في حسابتكوا، مفيش إنسان معصوم من الخطأ. بس أنا متأكد إنكوا هتحاولوا.

صمت لبرهة وهو ينظر في أعينهم ليرى فيها الحيرة، فقال مازحًا:

- ماتبصوليش كده عشان ما أخافش.

سألته "عشق" قائلة:

- بس يا بابا أنا متأكدة إن لما حضرتك بتقول أي حاجة بيكون ليها سبب وفيها حكمة.

وأكملت مقهقهة:

- بس أقسم بالله أنا ما فهمت حاجة.

ابتسم لها ثم قال:

- إنتِ بالذات هفهمك بس مش دلوقتي.

وأكمل قائلًا بصوتٍ عالٍ وهو يهم بالقيام لأنه سيحدث هجوم بالتأكيد:

- دلوقتي يا بنات في فشار كتيير تمام!

أكمل وهو يهرول خارج الغرفة سريعًا:

- وفي فيلم تحفه هيبدأ حد جاي؟

قالوا في صوت واحد وهم يلحقون بوالدهم:

- جايييين طبعًا.

ذهبوا وراء "شريف" وجلسوا حوله والسعادة تغمرهم، فبالرغم من أنهم لا يملكون كل شيء أو حتى كل مسببات السعادة، فإنهم يصنعونها بأيديهم. فما أجمل أن يستطيع الإنسان أن يصنع السعادة ويضعها في قلوب أحبته. حتمًا ستصير البشرية في سرور.

***

(18)

أشرقت الأرض بنور ربها، وتسللت أشعه الشمس إلى غرفة حنين لتداعب عينيها، فتستيقظ سريعًا حتى لا تتأخر عن عملها. كان حديث والدها ما زال يتردد على مسامعها. هل هي حقًا تحتاج إلى التفكير مرة أخرى لمراجعة حساباتها؟ أم أنها صحيحه؟ ارتدت ملابسها الكلاسيكية، ولم تنسَ حقيبتها التي بها حاسوبها النقال لأنها لا تستطيع العمل دونه. استقلت سيارتها ومعها صديقتها وظلت شاردة في حديث والدها: (راجعوا نفسكوا أكيد هتلاقوا غلطات في حسابتكوا)، وظلت تفكر بأي شيء يقصد. ولكنها قد وصلت إلى مقر الشركة، فقررت أن تفكر في ذلك الأمر بعد عودتها إلى المنزل. دلفت "حنين" إلى مكتبها وقبل أن تجلس جاءها اتصال من السكرتيرة بأن المدير يريدها بالمكتب سريعًا. فتذكرت هي أمر العميل الجديد. تركت حقيبتها على المكتب وذهبت إلى مكتب المدير وطرقت الباب وأذن لها بالدخول.

كانت "عشق" في الجامعة جالسة في الكافيتريا تنتظر صديقاتها. كانت تتمنى أن تنتهي محاضراتها سريعًا حتى تذهب إلى المشفى لرؤيه آسر.

ظلت تُحدِّث نفسها بأي حجةٍ ستخبره أنها جاءت من أجله، وظلت تفكر ولكنها لم تصل إلى إجابة وقررت ألّا تذهب اليوم. نظرت إلى ساعتها التي أشارت أن الساعة الواحدة ظهرًا، فقررت أن تذهب إلى قاعة المحاضرات وفي أثناء سيرها أوقفها شابٌّ معها في الجامعة وقال:

- ممكن نتكلم شوية؟

نظرت "عشق" لصاحب ذلك الصوت التي تتذكره إلى حد ما، نعم إنه "سيف" ذلك الشاب الذي تتمناه أي فتاة، وقد سبق أن أوقع عشق في حبه، ولكنه فعل ذلك حتى يقوم بإغاظة "سها" تلك الفتاة التي أهانته وتركته يندم على خسارتها. وقد قامت إحدى صديقاتها بتحذيرها من ذلك الشاب، ولكن لم تهتم "عشق" بحديثها إلى أن سمعت في يوم من الأيام بأذنها من "سيف" وهو يتحدث في هاتفه أنها مجرد وسيلة في لعبة تافهة. فردت عليه بصرامة قائلة:

- وإنت بأي صفة تتكلم معايا؟

رد عليها وهو يمثل عليها الانكسار والحزن قائلًا:

- يا عشق سامحيني أبوس إديكي. أنا كنت بعمل كده فعلًا عشان أغيظ سها بس صدقيني لما بعدتِ عني عرفت قيمتك.

ولأول مرة تسير "عشق" وراء عقلها وقالت بعدم اهتمام:

- تصدق إن دي أحسن حاجة إنت عملتها في حياتك، عشان عرفت بعدها أد إيه إنسان حقير وما تستاهلش حتى إني أقف معاك.

وتركته فاغرًا فمه وظل يحدث نفسه قائلًا:

- هذه ليست عشق الفتاة الطائشة التي تسير وراء الحب حتى تلحق به، إنها ليست صغيرته التي كان يعرفها، فعزم على أذيتها.

***

كان مستر خالد جالسًا على مقعده وينظر في حاسوبه باهتمام. خلع نظارته الطبية وأردف قائلًا:

- بصي يا آنسة حنين دلوقتي إنتِ بقيتي مهندسة ديكور مميزة عندنا وبقيتي تطلبي بالاسم.

كانت حنين منصتة إليه وتشعر بالسعادة.

- دلوقتي في عميل مهم عندنا من أحد فروع شَرِكَاتنا عاوز يجهز الشقة بتاعته وطلب إن إنتِ اللي هتقوم بالمهمة دي.

- أكيد طبعًا وده شيء يسعدني جدًّا.

- تمام حضّري نفسك ساعة بالكتير وعربيه هتكون قدام الشركة، والمساعدين معاكي وهتشوفوا المكان عشان تشتغلي عليه من بكره بإذن الله.

ردت عليه بحماسة قائلة:

- بإذن الله.. عن إذن حضرتك.

خرجت "حنين" من مكتب المدير وذهبت لتخبر "سلمى"، ووجدتها في حاله يرثى لها. خفق قلبها بشدة وأسرعت نحوها قائلة:

- مالك يا سلمى؟ بتعيطي ليه؟

- بابا.. بابا يا حنين.

سألتها وقلبها يدق بشدة:

- ماله في إيه؟

أجهشت في البكاء وقالت:

- بابا تعبان أووي وماما كلمتني بتعيط، مش عارفة تعمل إيه، ولا حتى عارفة تروح بيه مستشفى..

- طيب من غير تفكير إنتِ تاخدى أجازة وتروحى ليهم على أول طيارة.

- حاضر.. حاضر يا حنين.

وبالفعل ذهبت "سلمى" إلى المدير وأخبرته بحالة والدها وطلبت منه أن تأخذ إجازة حتى تتحسن صحة والدها. وبالفعل وافق لها المدير على إجازة، وسأل الله لها أن يشفي والدها.

حجزت أونلاين أول طائرة من مصر لدبي وذهبت سريعًا إلى منزلها تُحضِّر حقائبها

دلفت "عشق" إلى قاعة المحاضرات وهي على وشك البكاء تريد أن تجهش بالبكاء، ولكن عليها أن تصمد قليلًا حتى تعود إلى المنزل وتخبر "سلمى". كانت جالسة في محاضرتها كالجسد بلا روح، كانت خائفه جدًّا، وشعرت أن قلبها ينقبض لا تعرف لما هذا الشعور. ظلت تتذكر الأيام التي قضتها مع "سيف" وتتذكر فور سماعها له وهو يهاتف أحد أصدقائه في حفل أقيم لانتهائهم من العام الدراسي، صُدِمَت حين علِمَت أن الشخص الذي خسرت من أجله صديقتها حقير.

شعرت بوقاحتها حين تخلت عن صديقتها، ولكن للأسف توفيت صديقتها، كانت تدعو لها دائمًا وتدعو الله أن يغفر لهما.

انتهت المحاضرة وما زالت "عشق" على حالتها.

تعجب دكتور المادة وتأكد أنها لم تنتبه لما قاله، فظلَّ يُناديها، أفاقت عشق من شرودها على صوت دكتور المادة وتوترت حين التفتت حولها ولم تجد أحدًا من زملائها، فأردف هو قائلًا بحنو الأب:

- بصي يا بنتي العلم لازم تخليه أول حاجة قدامك لأنه هيخليكي فعلًا بني آدمة محترمة وليها مركز، عشان كده فكري في مستقبلك أهم.

شكرته "عشق" على نصيحته ووعدته أن تهتم بمذاكرتها. انتهى اليوم الدراسي، سلمت "عشق" على أصدقائها الذين سألوها ما بها ولكنها فضلت الصمت. فكانت تحتاج كثيرًا إلى الحديث مع آسر.

***

استقلت "حنين" السيارة وذهبت بها إلى المنزل التي ستعمل عليها في الفترة القادمة. صعدت إلى المنزل وهي بنصف عقل، فهي خائفة من أجل صديقتها ووالدها المريض، وكيف لها أن تفارقها تلك المدة، فهي توأم روحها. كانت تسير في المنزل ووقع عيناها من بعيد على شابٌ يسير في أحد أركان المنزل، شعرت لوهلة بأن قلبها يخفق وبشدة. نفضت تلك الفكرة من رأسها، وظلت تسير في أرجاء المنزل إلى أن صدح صوت هاتفها فردت قائلة:

– إزيك يا حبيبتي.

– أنا الحمد لله، أنا بس عاوزة أقول لك إني هزور آسر، ماشي؟!

وهنا سمعت "حنين" صوتًا مألوفًا لها يناديها:

– حنين.

التفتت إلى مصدر الصوت، ووقع هاتفها من شدة صدمتها وقالت بدهشة:

– مش معقول إنت!

تعجبت "عشق" من انتهاء المكالمة فجأة، وقالت في نفسها:

– أكيد المكتب عندها فيه الشبكة وحشة.

واستقلت "عشق" سيارة أجرة للذهاب إلى المشفى. ترجلت من السيارة وهي تمسح دموعها. دخلت دوره المياه الملحق بالمشفى وغسلت وجهها ثم جففته ونظرت لنفسها بالمرآة حتى تتأكد أنه لا يوجد آثار

لدموعها، ولكن بريق العين يفضح. ذهبت إلى "آسر" وهي ترسم البسمة على وجهها وطرقت الباب، ولكن لا يوجد رد، فعلمت أنه نائم، تركته وذهبت إلى الطبيب لتسأله عن صحة آسر، ولكن أخبرها الطبيب قائلًا:

- المريض ده مشي الصبح وانا مابقيتش مسؤول عن حالته تقدرى تسألي الممرضة.

لم تصدق "عشق" ما قاله ذلك الطبيب وظنت أنه يهذي. فذهبت إلى غرفة آسر، وفتحت الباب على مصراعيه، وبالفعل لم تجده، أقنعت نفسها أنه ملّ من الجلوس فذهب ليتجول قليلاً وسيأتي على الفور. ذهبت إلى الممرضة التي كانت أمام الغرفة وسألتها أين تجد آسر فأخبرتها قائلة:

- أ/آسر مشي الصبح.

***

(19)

التفتت "حنين" إلى مصدر الصوت، ووقع هاتفها من شدة صدمتها وقالت بدهشة:

- مش معقول إنت!

رد عليها بابتسامته الساحرة:

- أيوه أنا زياد، فاكراني؟!

- أكيد فكراك.

تداركت نفسها وأنها في موقع عمل، فأردفت قائلة بجدية:

- وحضرتك حابب التصميم يكون إزاي؟

- زي ما إنتِ ما تغيرتيش يا حنين.

- بعد إذنك نتكلم في الشغل عشان أنا مش فاضية.

أذعن "زياد" لأوامره، وبدأ يشرح لها ما يريده في المنزل، وهي تكتفي بتحريك رأسها إيجابًا. عندما انتهى أستاذنت هي سريعًا بحجة أن وراءها

الكثير من الأعمال، ولكن السبب الرئيسي هو ألّا تتحدث معه في أي أمور خارج العمل.

***

ذهبت "عشق" إلى الممرضة التي كانت أمام الغرفة وسألتها أين تجد آسر فأخبرتها قائلة:

- آسر مشي الصبح.

وقعت تلك الجملة عليها كوقع الصاعقة، لم تصدق ما سمعته أُذناها.

اغرورقت عيناها بالدموع، فهي لم تستطع تحمُّل كل هذا الصدمات وحدها، فهي إنسانة لها قلب ومشاعر، فالشخص الوحيد الذي دقّ له قلبها بصدق تخلّى عنها وتركها. شعرت أنها في كابوس، وظلت تسأل نفسها. هل حقًا آسر حلماً جميلاً قد إنتهى؟ كانت بدايته جميلة وفي النهاية اصبح موحشاً للغايه؟ لم تستطع التحمُل فتهاوت قدماها ووقعت مغشيًّا عليها.

***

خرجت "حنين" من البناية وقلبها على وشك إعلان خضوعه لزياد. فهو أول شاب دقّ له قلبها منذ الجامعة، حاولت البعد عنه والهروب منه بشتى الطرق، ولكن ها هو القدر يجمعهما مرة أخرى. فهل ستذعن حنين لما يهواه قلبها؟ أم ستسير وراء عقلها الذي لا يجلب إلا الإرهاق لها؟

عادت إلى الشركة مرة أخرى حتى تأخذ الأوراق المهمة التي ستعمل عليها الفترة القادمة.

***

بدأت "عشق" تستعيد وعيها، كانت الرؤية غير واضحة لها. ظلت تهذي بكلمات غير مفهومة فسرتها الممرضة وأشفقت عليها وعلى حالها. وأعطتها مشروبًا مُحَلى، ارتشفته عشق لأنها لم تأكل قط منذ الصباح. وعادت إلى منزلها بخيبة أمل.

ارتمت على فراشها والدموع تسيل على وجنتيها، فهي لم تتوقع أن "آسر" كان مجرد حلم جميل انتهى فجأة بدون موعد أو حتى سابق إنذار. أوهمت نفسها أن كل هذا حلم وسينتهي سريعًا.

***

في المنزل كانت "حنين" تعد الطعام مع والدها، وقصت عليه ما حدث لـ"سلمى" اليوم وعن مرض والدها المفاجئ، وأنها ستسافر إليه اليوم. حزن الأب على ما قالته سلمى ودعا الله أن يتم شفاء والد "سلمى"، فهو رجل حنون وكريم ويجعل من حوله سعداء بابتسامته. استأذنت "حنين" والدها أن تتركه دقيقة واحدة حتى تنادي شقيقتها ليتناولوا الطعام معًا.

فتحت "حنين" الستائر حتى تنير الغرفة وتوقظ شقيقتها التي على غير عادتها تنام في ذلك الوقت. ذهبت "حنين" وجلست على الفراش وظلت تنادي شقيقتها لتستيقظ، وبالفعل استيقظت "عشق" وأول ما فعلته عندما

فتحت عينيها، ارتمت في حضن شقيقتها وظلّت تبكي حتى انتهت الدموع من عينيها. خفق قلب "حنين" وسألتها ما بها، فأجابتها وهي ما زالت تبكي قائلة:

- آسر مشي.

قالت بتعجُب:

- مشي؟!

- أيوه مشي، رحت المستشفى وسألت على آسر قالوا لي إنه مشي الصبح. أنا عارفة إني عشت في حلم جميل وفجأة راح ومش هيرجع أنا عارفة. فاكرة لما كنت بقولك أنا قلبي مقبوض وحاسة إن في حاجة كبيرة أووي هتحصل؟! كنت خايفة أه بس ما توقعتش إن الخسارة تكون كبيرة أوووي كده.

كانت "حنين" تسمعها وتكره الحب أكثر وأكثر. تذكرت حديث آسر معها بالمشفى وأنه يحبُ عشق ويريد أن يتقدم لخطبتها. كانت ترى في عينيه الصدق، فقالت لشقيقتها بابتسامة محاولة في إعطائها أمل:

- مين قال بس إنه مش راجع تاني؟ متيأسيش كده على طول أول ما الدنيا تديكي ضهرها، لو الدنيا عندت معاكي إعندي إنتِ كمان معاها لحد ما تتعب وإنتِ اللي تكسبي. خليكي دايمًا قوية وإوعي تسمحي لليأس إنه يدخل قلبك. ركزي في مذاكرتك الفترة دي، وأقفي قدام العالم والبشر وقوليلهم أنا قوية ومحدش يقدر يكسرني، إنتِ قوية بربنا ثم بنفسك مش بأي حد تاني.

ردت عليها قائلة:

- إنتِ جايبة القوة دي كلها منين؟ لا بجد! إنتِ إزاي كده يا حنين؟

صمتت "حنين" لبرهة حتى تخفي تعابير وجهها الحزينة وقالت ضاحكة:

- يا بنتي خليكي قوية وما تضيعيش بيريستجنا بقا.

- أنا جعانة أووي يا حنين.

ردت عليها "حنين" مقهقة على شقيقتها التي لا يقف أحد أمام جوعها:

- بتفصليني أقسم بالله، هو مش كنتي زعلانة بردو.

ردت عليها مازحة:

- أنا بحوش الزعل لبعد الأكل، ده أنا على لحم بطني من الصبح.

- طيب يلا اغسلي وشك وتعالي ورايا.

جلسوا جميعًا لتناول الطعام. كانت "حنين" تتحدث مع والدها بينما ذهبت عشق إلى عالم آخر.

ظلت تفكر في أي سبب أو عذر يجعله يترك المشفى دون أن يخبرها أو أن يترك لها رسالة.

أفاقت من شرودها على صوت "حنين" وهي تخبرها بأن تنهض لتفتح الباب.

كانت "سلمى" وما إن رأت "عشق" عانقتها ودفنت وجهها وظلت تبكي وقالت:

- هتوحشيني أووي بجد.

نظرت لها بدهشة وقالت:

- إنتِ بتقولي إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة.

جاءت "حنين" وأخبرتها بأنها ستسافر للاطمئنان على صحة والدها ولن تتأخر عليهم. أخبرتهم "سلمى" أن موعد طائرتها قد اقترب. وعليها أن تغادر الآن. سلمت عليهم بحرارة وأعطتهم هدية بسيطة، حتى "شريف" أعطته كتابًا وكان آخر كتاب من السلسلة التي يعشقها. فهي بالرغم من أنه والد صديقاتها، فإنه لم يُفرِق بينها وبينهم قط، كان يعوضها عن كل شيء. وكانت تحبه وتحترمه مثل والدها تمامًا.

التقت الأعين نظرة أخيرة قبل أن تسير العربة بعيدًا عن المنزل.

***

جلست "عشق" على فراشها وأمسكت بالحقيبة التي أهدتها لها صديقتها.

أخرجت ما بداخلها لتتفاجأ بوجود قلب مجسم يُمسك باليد، فقالت مازحة:

- القلب ده سلمى ما اختارتوش هباءً كده أنا متأكدة إن وراه سر أو معلومة كبيرة.

وكان معه جواب. فتحته "عشق" في شغفٍ وكان كالآتي:

"يُسعدُنا الحب ويجعلنا نشعر بمعنى الحياة وطعمها. الحب أحيانًا يأتي كما لا نحب، يأتي عكس تيار هوانا. لن يستطيع أحد التحكم في الحب ذاته، فالعلماء عجزوا عن تفسير معنى الحب.

ما توصلوا إليه أنه اتصال بين روحين. فأنتِ يا عشق لكِ القُدرة على التحكم في قلبك وليس التحكم في الحب نفسه. سيأتي نصيبك في يوم ما قد اختاره الله لكِ، فلا تسيري وراءه، لأنه حتمًا سيأتي".

أغلقت "عشق" جميع الأنوار المضاءة بالغرفة. ووضعت رأسها على وسادتها وهي ممسكة بالقلب الذي أهدته إياها "سلمى". وظلت تفكر فيما قرأته إلى أن ذهبت في سبات عميق.

***

(20)

استيقظت "حنين" من نومها أو لنقل إنها لم تذق النوم من الأساس، فكان التفكير سيد الموقف. ظلت في فراشها وكانت هدية سلمي على المكتب الذي يمكث بجانب فراشها، وكان أيضًا أول ما فتحت عينيها عليه. قامت وأخذت الهدية لتتفاجأ بأنها عبارة عن باربي وزوجها وابنهما قالت حنين مقهقهة:

– إيه ده هو أنا بنت أختك ولا إيه يا سلمى؟ مجنونة طول عمرك.

وهمّت بإخراجهم من الصندوق لوضعهم على مكتبها ووقع منها ورقة انتبهت لها وهمت بقراءتها وكانت كالآتي:

" السعادة تكمن في المال والعمل ، ولكنها ليست السعادة بعينها، فهي أيضًا ليست كاملة. فهناك الكثير لإكمال تلك السعادة كتكوين أسرة وبيت. اجعلي أحلامك وطموحاتك أمامك دائمًا، ولكن لا تجعليها عائقًا لأي شيء آخر، اتركي كبرياءك قليلًا. تمتعي بترك عقلك ولو لمرة واحدة. افعلي شيئًا ما عندما يراه الناس يقولون إنها حقًا مجنونة. كفاكِ روتينًا وكبرياء وحزنًا وعقلًا. فلقد اكتفيتِ، فلتتمتعي قليلًا".

ابتسمت "حنين" على أثر تلك الرسالة، واعترفت أنها ظلمت نفسها كثيرًا بحصار نفسها في أشياء محددة، وقررت أن تفعل كل يوم شيئًا غير مألوف لها حتى تُسعد نفسها.

***

استيقظت "عشق" مبكرًا وظلت تُذاكر دروسها لأنها لم تهتم بها في الفترة السابقة. كانت في كل ورقة ترسم قلبًا ووجهًا يبكي. هاتفتها إحدى صديقاتها وأخبرتها أن هناك جلسة لفتيات الجامعة في الكافيتيريا وهو عبارة عن أسئلة اعترافات، وافقت "عشق" وأخبرتها أنها لن تتأخر. أغلقت كتبها ووضعتها داخل حقيبتها وبدّلت ملابسها سريعًا وانطلقت إلى الجامعة.

***

كانت "حنين" جالسة في مكتبها، وقد جلب لها الساعي قهوتها التي تعشقها، فهو يصنعها بمذاق آخر غير أي أحد، فهو رجل كبير كوالدها تمامًا تُقدره وتحترمه. كانت "حنين" تعمل على التصميمات عبر حاسوبها النقال. كانت تفكر في خطيبة زياد التي لم تَرَها من قبل، فمن المفترض أن لها آراء ودّت أن تضيفها، لم تكترث حنين فهناك شيء غامض كررت هي تركه الآن حتى لا يعكر صفو مزاجها. جاءها اتصال دولي وكانت "سلمى" . التقطت هاتفها سريعًا وقالت:

- وحشتيني وحشتيني، عاملة إيه؟

ردت بحزنٍ:

- أنا بخير الحمد لله، ادعي لبابا كتير ده تعبان أووي، أنا نقلته للمستشفى إمبارح وحالته مش تمام.

- ربنا يشفيه يا حبيبتي ويخليهولك.

- يارب. وإنتِ عاملة إيه وعمو شريف وعشق؟

- إحنا الحمد لله كويسين، عجبتني أووي الهدية بجد تسلم إيدك.

- على إيه يا بنتي إنتِ تستاهلي كل حاجة حلوة.

التفت "حنين" بمقعدها لتنظر إلى السماء عبر الزجاج الذي يحيط مكتبها بدلًا عن الجدران وكان المشهد رائعًا وقالت:

- عارفة يا سلمى جملتك دي لسة معلقة معايا "تمتعي بترك التفكير بعقلك ولو مرة واحده" تفتكري هقدر؟

- أكيد هتقدري حطيها إنتِ بس في دماغك.

وظلتا تتحدثان معًا عن رحلة "سلمى" بالمطار وكيف كانت ممتعة. انتهتا من الحديث، ونظرت "حنين" للسماء ثم قالت:

- تمتعي بترك التفكير بعقلك ولو مرة واحدة.

جاءها صوت من خلفها:

- يا ريت يا حنين، متأكد إنك هتقدري.

***

ذهبت "عشق" إلى الجامعة، وجلست مع صديقاتها بالكافيتيريا. انتقوا الطاولة التي يجلسون عليها دائمًا، فهي مظللة بأغصان الشجر. جلست الفتيات، واقترحت إحداهن أن يلعبن لعبة الصراحة. كانت الأسئلة لكل الجالسين ويجب على الكل أن يكون لديه الجرأة والشجاعة للإجابة عن السؤال المطروح. ومَرّ الوقت وملت "عشق" من تلك اللعبة فأسئلتهم لم تتوقع أن تكون تافهة إلى تلك الدرجة. سمعت صوت وصول رسائل على هاتفها، فالتقطته وهي تتذمر لأنها تعلم أنها رسائل معتادة من الشركة وقد ملت منها، ولكن كان الرقم غير مألوف لها. فتحت الرسالة وكانت كالآتي:

"إزيك يا عشق، عاملة إيه؟ أنا كنت حابب أطمنك إني رجعت إسكندرية، ماكنتش حابب أشوفك وإنتِ بتعيطي بس بردوا عرفت إنك عيطي وأغمي عليكي. مش عاوزك تعيطي تاني بقا عشان هرجع لك قريب إن شاء الله.

آسر"

***

(21)

توقّف قلب "حنين" عن النبض لدقيقة فور سماعها لصوته والتفت بمقعدها وقالت بحزم:

– إنت مين اللي سمحلك بالدخول؟

– إهدي يا حنين في إيه؟

– في إنك إنسان معندكش دم.

رد عليها بثقة:

– مش هرد عليكي عشان هتندمي على اللي إنتِ بتقوليه ده.

صمت لبرهة وهو ينظر لها بتحدٍّ:

– بس بعدين.

قالت "حنين" بنفاد صبر:

– تقدر تقول لي مشرفني في المكتب عاوز إيه؟

– عشان أعرف إمتى العمال هيبدأوا شغل في الشقة.

- لما أخلص هبقى أبلغ حضرتك إتفضل.

رَدَّ عليها قائلًا وهو يهمُّ بالقيام:

- ويا ريت بسرعة عشان أنا مستعجل.

***

ارتسمت البسمة على ثغر "عشق" وكانت في سعادتها كالطائر وهو يحلق في السماء، وأخيرًا ردت السعادة إلى قلبها بعدما تملكها الحزن ويئست من رجوعه مرة أخرى.

رأتها إحدى الفتيات وهي سعيدة هكذا وكانت "نور" فسألتها قائلة:

- ودلوقتي السؤال ليكي يا عشق، إيه اللي حصل خلي وشك يتقلب 180 درجة؟

- عارفة لما قلبك يدق لشخص ويحصل موقف صغير ولسوء فهمك تفسريه غلط؟! أنا حصل معايا كدة بس بجد هو أحسن إنسان في الدنيا، طلع أحسن مما كنت حطاه في دماغي، إنتوا مش متصورين سعادتي يا بنات.

اغتاظ منها البعض بينما تمنّى لها البعض الآخر حياة سعيدة. كان موعد محاضرتهم على وشك أن يبدأ فذهبوا جميعًا إلى قاعة المحاضرات.

***

تنفّست "حنين" الصاعدة فور خروج "زياد" من مكتبها، فهي تخاف من أن يسمع نبضات قلبها الذي يدق فور رؤيته. شعرت لوهلة بالضعف وبالخوف من أن يُفضَح أمرها. هي حقًا قررت أن تفعل شيئًا جديدًا، ولكنها لم تقصد قط أن تحب. فلنقل إنها قد وقعت في فخ الحبِّ، بل أجمل فخٍّ في حياتها. تعتبر "حنين" من الأشخاص الذين يعاقبون أنفسهم لأمور ليس لهم يدٌ بها، فالقلب ينبض لمن أراد كيفما شاء وأينما أراد، بدون أي سابق إنذار. يا إلهي كم هو أمر شاق! لملمت حنين شتات أفكارها وأعادت تفكيرها في العمل الذي أمامها. كانت "حنين" تريد أن تنهي العمل مع ذلك العميل سريعًا، فهي لن تتحمل ذلك كل يوم.

***

انتهت "عشق" من محاضراتها وهي سعيدة للغاية رآها "سيف" من بعيد فأقبل نحوها وقال بسخرية:

- الجميل مبسوط ليه؟ ولا دي ضحكة مخبية وراها دموع؟

- هو صحيح يا سيف أنا ما عرفتكش؟

رَدَّ عليها وهو يحكُّ رأسه:

- الصراحة لا.

قالت وهي تنظر له باحتقار:

- يبقى أكيد مش عاوزاك تعرف.

وهمّت بالقيام وهي سعيدة أكثر فوق سعادتها، فهي تكرهه وبشدة، بينما هو كان يشتعل ويحدث نفسه قائلاً:

- والله ما أنا سايبك يا عشق، وإنتِ اللي هتندمي.

***

عادت "حنين" إلى منزلها وما زالت مشتتة. ارتمت بجسدها على أول مقعد رأته أمامها وأغمضت عينيها، لتتذكر أول يوم لها بالجامعة.

فلاش باك:

كان أول يوم لها بالمكان، فهي جاءت حتى تأخذ (كورس) للغة الإنجليزية،حتى تقوى من لغتها وتعلو بنفسها. وكانت لا تعرف أحدًا. عزم أحد الشباب على مضايقتها، فهي لن تستطيع فعل شيء خاصة أنها جديدة هنا. قام ذلك الشاب وبدأ مضايقتها بالحديث وهي كانت مترددة أترد عليه بحنين المتسلطة القوية، أم أن تتركه يقول ما يريد ولا تُعيره أي اهتمام؟! لم تتحمل "حنين" ذلك الشاب ، فوقفت أمامه وصفعته صفعة مُدوية التفتت على أثرها الكثير من الأعين. هنا تقدم زياد ولكم ذلك الشاب حتى طرحه أرضًا. أعجبت "حنين" بشخصية زياد وقالت بصوتٍ عالٍ حتى تسمع ذلك الشاب وجميع أمثاله:

- فكر 100 مرة قبل ما تيجي تتكلم معايا، مش حنين شريف اللي واحد زيك يفتكرني زي أي واحدة يعرفها.

أعجبَ "زياد" بشخصية تلك الفتاة، فهي حقًا ليست كأي فتاة. لم ينظر لها زياد من حيث جمالها بل نظر لقوة شخصيتها التي تميزها عن الأخريات. بينما نظرت له "حنين" بإعجاب لشهامته ورجولته.

باك

كان "شريف" متعجبًا من حال ابنته فليس من عادتها أن تعود مبكرًا من العمل، أثارت هي شكوكه بعدما ناداها ولم تستمع إليه وظلت شاردة. وبعد محاولات عديدة جلس "شريف" بجانبها وربت على كتفها قائلًا بحنو:

- ممكن أعرف بقا بنوتي الحلوة مالها؟

أفاقت هي من شرودها وتفاجأت بوجود والدها. اعتدلت في جلستها ونظرت لوالدها طويلًا فسألها هو:

- فيكي إيه يا حنين؟

ردت عليه وهي تنظر عبثًا في أرجاء المنزل حتى لا تلتقي أعينهما وتُفضح:

- أنا كويسة يا بابا.

- اللي تشوفيه يا بنتي أنا هقعد في أوضتي لو احتاجتي أي حاجة أنا موجود وهسمعك.

طَبَعَ قُبلة على جبينها وقام وهو يعلم أنها تُكابر مع نفسها وسوف تأتِ إليه لتبوح إليه ما بداخلها، فبالرغم من أن "حنين" مستقلة عن غيرها ولها رأي وأوامر إلا أنها لا تستطيع أن تكابر عند سؤال أبيها لها.

وضعت "عشق" سلسلة مفاتيحها في الباب ودلفت إلى الداخل. وضعت حقيبتها ونظارتها على الطاولة وذهبت إلى المطبخ لتسلم عليه. ولكنها وجدت شقيقتها في المطبخ بدلًا من والدها، كانت "حنين" تدندن فقالت "عشق" بسعادة:

- الله الله، اللهم صلي على النبي. بقا حنين هانم تسيب شغلها وتروح بدري، لا مش كدة وبس دي واقفة في المطبخ وبتحضر الأكل كمان وهي بتغني.

غمزت لها وأكملت قائلة:

- إلا هو في إيه يا جميل؟!

ضحكت "حنين" على أسلوب شقيقتها وقالت:

- أنا متأكدة إن أكلي واحشك فجيت بدري عشان أعملهولك.

قالت وهي تمسكها من يدها وتأخذها خارج المطبخ:

- والله العظيم أبدًا أنا مش عاوزة أروح المستشفى يا باابا!!! يابابا رد عليها من الغرفة قائلًا:

- أيوه يا حبيبة بابا.

- تعالَ يلا نقف في المطبخ مع بعض ونساعدك.

دلفوا جميعًا إلى المطبخ وقال:

- ما تتعلموا بقا الطبخ مش عيب تبقوا كبار كده ومش بتعرفوا تقلوا بيضة حتى.

كتمت الفتاتان ضحكاهما وقالت "عشق":

- ما هو البركة فيك يا بابا يا حبيبي.

ضحك "شريف" على أسلوبها، وقاموا بتحضير الطعام معًا، فكان الوقت الذي يمضي وهم معًا لا يخلو من الضحك.

***

في المساء جلست "عشق" على فراشها وأمسكت هاتفها لتقرأ رسالة آسر مرة أخرى كانت سعيدة للغاية لأنه متمسك بها ولن يتركها. قررت أن تنام لأنها متعبة اليوم، ولكن قررت مهاتفة سلمى أولًا.

***

(22)

قررت "عشق" أن تنام لأنها متعبة اليوم، ولكن قررت مهاتفة سلمى أولًا، وبالفعل قامت بمهاتفة "سلمى" وظلتا تتحدثان قليلًا عن أحوال والد سلمى وأخبرتها قائلة:

– عارفة يا عشق.. بابا شركته اتوقف حالها ومحتاجين رأيه في حاجات كتير وأنا مش عارفة أعمل إيه؟

– طيب ليه إنتِ ماتنزليش الفترة دي لحد ما عمو يقوم بالسلامة.

– فكرت بس حاسة إنه هيكون صعب عليا، أنا لازم أتعود الأول على طبيعة العمل. أنا مثلًا همضي عقود وشيكات بدل بابا على أي أساس؟

– انزلي يا سلمى من بكره إنتِ ست العاقلين أكيد مش أنا اللي هقول لك.

– حاضر يا عشق. إن شاء الله.

قصت "عشق" لصديقتها عن آسر وعن حالها بعدما لم تجده بالمشفى، وأنه كان أسوأ يوم في حياتها. وعن رسالته التي أسعدتها صباحًا. سعدت "سلمى" بسماع هذه الأخبار، فهي متأكدة أن آسر سيتقدم لخطبتها قريبًا.

***

كانت "حنين" تسير في غرفتها ذهابًا وإيابًا متوترة، تريد أن تقصَّ على والدها عن "زياد" ولكنها تكابر وتقنع نفسها أنها في وهم وأنها لا تحبه أبدًا. ولكن أخذتها قدماها إلى غرفة "شريف" وطرقت الباب. أَذِنَ لها شريف الذي كان سعيدًا بلجوء ابنته إليه بالدخول.

قالت حنين بتوتر:

- بابا أنا عاوزة أتكلم مع حضرتك شوية ممكن؟

- أكيد يا بنتي تعالي.

أشار لها على الشيزلونج حتى تجلس عليه. وبالفعل جلست عليه "حنين" ونظرت إلى السقف مطولًا وأردفت قائلة:

- عن إحساسك بالسعادة لما تشوف حد ماشفتوش بقالك فترة طويلة، حد عمرك ما كنت تتخيل إن ممكن تتقابلوا تاني في يوم من الأيام بعد سنين. عارف لما تقفل قلبك خالص ومتأكد إنك مش هتفتحه تاني؟ وتيجي صدفة تمحي كل حاجة عملتها، تمحي كل الحواجز اللي الواحد كان عاملها مع نفسه؟ ساعتها الواحد بيخاف إن اللي بيحبه يحس بنبضات قلبه أول ما العين تيجي في العين. ساعتها بتحس إنك كاره

نفسك، وكاره قلبك اللي بيدق لوحده من غير مايستأذن صاحبه. العقل بقى ده حاجة جميلة أووي هو أيوه قراراته صعبة و بتوجع بس كلها صح.

كان "شريف" منصت إلى ابنته التي يعلم أنها تكابر مع نفسها ولا تستطيع أن تقول إنها وقعت في الحب. هو يعلم أنها بالفعل عنيدة ولكن لما كل هذا. فالحياة أبسط من هذا بكثير، والأمور أسهل من أن تقاس بتلك الطريقة، ولكنه سيبقى مع ابنته في جميع الأحوال، وأهم شيء أنها لا تستطيع اللجوء لأحد إلا سواه، فهي تستطيع الوقوف أمام الحب بثباتٍ تام والنظر إليه وكأنه لا شيء، بينما هي تنهار تمامًا من داخلها ونبضات قلبها تبدأ بالتخبط، ولكنها على الرغم من ذلك تبتسم. فأنصت لها وهي تقول:

- بس البنت دي خايفة أوي، ومش عاوزة تجرب حاجة جديدة. هي روتينية جدًّا وخايفة إنها تجرب حاجة جديدة وبالذات إنها قصة حب.

نظرت لوالدها وقالت متسائلة:

- تفتكر أنصحها بإيه يا بابا.

ابتسم لها "شريف" الذي يفهمها جيدًا ويعلم أن كل كلمه قالتها هي تعبيرًا عن نفسها، ويعلم أنها تستطيع إشباع نفسها بالسعادة متى أرادت، وتجيد الضحك في عز البعثرة، فهي وكبرياؤها لا يُحبِان استعطاف أحد، فردَّ عليها قائلًا:

– انصحيها بإنها تبطل تكابر وتبطل عند. قوليلها الحياة كلها كام يوم فمش مستاهلة جفاف وحزن وكآبة، قوليلها تتبسط وتعيش حياتها، عرفيها إن مسير قلبها الحجر يدق في يوم من الأيام، وأهو اليوم ده جيه وقلبها دق فعلًا، فمش مستاهلة تقضي حياتها في التفكير وفي الآخر تختار غلط. قوليلها إن قلبها اللي عمره ما دق غير للشخص ده إن هو ده الشخص الصح اللي ماشفتش زيه قبل كدة. قوليلها اللي قلبك دق ليه ده فعلًا راجل ومحترم وهيطلبها من والدها. قوليلها تبطل خوف من اللي جاى وماتخليش عقلها هو اللي يفكر بس. فهميها إنها لازم تعيش في سعادة وفرح، مش تشيب وهي لسه شابة. أنا مش عاوزك تقوليلها الكلام ده كده وخلاص لا، أنا عاوزك تشخطي فيها جامد عشان تفوق لنفسها. صدقيني مش هتندمي.

امتلأت عينا "حنين" بالدموع وقامت لترتمي في أحضان والدها. كان "شريف" يربت على ظهرها حتى هدأت. رفعت حنين رأسها قليلًا وقالت بدموع ما زالت في عينها:

– ممكن أطلب طلب صغير؟

– أكيد يا حبيبتي

– ممكن تحكي لى حدوته زي زمان لحد ما أنام؟

– ممكن يا حبيبة بابا.

ابتسم "شريف" لابنته ونظر لها مطولًا فهي كالجبل الذي لا يستطيع أحد الوقوف أمامه، وها هي الآن كالطفلة في السادسة من عمرها.

بدأ شريف يحكي لها قصة الأميرات التي كانت تعشقها وهي صغيرة. وأغلقت جفونها وذهبت في سبات عميق. أحكم "شريف" الغطاء عليها، وتمنى لها أحلامًا سعيدة. ودعا الله أن يصلح حالها ويرشدها إلى الصواب. فالوقوع في الحب كالموت تمامًا كلاهما آتٍ لا محالة، فلا تتعجلوه.

***

(23)

في اليوم التالي استيقظت "عشق" وقررت ألَّا تذهب إلى الجامعة اليوم لأنها محاضرة واحدة وليست مهمة، وقررت أن تستذكر دروسها التي أهملتها الفترة السابقة. دخلت المطبخ ولم تجد والدها وهذا على غير العادة، فقررت أن تصنع هي الفطور اليوم بدلًا من والدها. كانت رائحة الطعام تَعُم أرجاء المنزل. ولأول مرة تصنع الفطور وحدها بدون مساعدة والدها، ولكن هذا بفضل وصفات الطبخ التي تستخدمها "عشق". وضعت الأطباق على الطاولة بشكل مميز حاولت أن تضعها كما تضعها شقيقتها صاحبة الأسلوب الراقي.

***

استيقظت "حنين" على أنغام فيروز فابتسمت وقامت حتى تساعد والدها الذي يستيقظ كل يوم باكرًا من أجل إحضار الفطور لهم. قالت بسعادة وهي تدلف إلى المطبخ:

– يا صباح الفل والورد والياسمين على عيونك يا بابا.

ولكنها تفاجأت بوجود "عشق"، فوقفت لبرهة وهي تنظر إليها وفجأة بدأت في الضحك بدرجة مجنونه. تعجبت "عشق" من شقيقتها فعلى أي شيء تضحك هكذا فأردفت قائلة:

- مالك يا حنين بتضحكي على إيه؟!

قالت وهي ما زالت تضحك:

- عليكي.

أخذت نفسًا وأكملت قائلة:

- يصي شعرك كله جبنه وصابون مواعين إنتِ كنتي بتعملي إيه؟!

نظرت لها "عشق" بغيظ وألبستها المريلة وقالت:

- خلاص إغسلي إنتِ المواعين وأنا هصحي بابا.

فكرت "حنين" لبرهة وقالت:

- تيجي نعمل زي زمان؟

ابتسمتا بعضهما البعض وردت عليها قائلة:

- يلا بينا.

ذهبت الفتاتان إلى غرفة "شريف" وقالتا بصوتٍ عالٍ وهما ترقدان بجانبه على الفراش:

- بابا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

ضحك "شريف" على طفولتهما. أخذتاه من يده ليجلسوا على الطاولة معًا، وفي أثناء سيرهم تهاوت قدم "شريف" وكاد أن يسقط، ولكن أسندته الفتاتان جيدًا وقالت حنين بخوف:

- مالك يا بابا في إيه؟!

رد عليها محاولًا بث الطمأنينة لهما:

- عشان لسه ما فطرتش بس.

وبالفعل صدقته حنين، والتفوا حول المائدة التي تفاجأ "شريف" بوجود طعام جميل عليها. قالت "عشق" بفخر:

- يلا دوقوا وقولوا تسلم إيدك يا شيف عشق.

كانت "حنين" بالفعل تأكل لأنها جائعة وفجأة وضعت يدها على فمها وذهبت إلى سلة القمامة لتخرج ما بفمها فهو حقًا سيئ المذاق، وعادت إليهما فقالت "عشق" متصنعة الاندهاش:

- إيده هو الأكل ما عجبكيش؟!

- مين قال يا روحي ده تحفة.

وقالت بصوت منخفض حتى لا تسمعها:

- بس هو كله ملح ما شاء الله عليكي.

ونظرت لها وأكملت بابتسامة متصنعة:

- أنا بس ورايا شغل كتير ولازم أجهز دلوقتي.

أخبرت "عشق" والدها أنها لن تذهب إلى الجامعة اليوم، حتى تستذكر دروسها.

***

كانت "حنين" جالسة في مكتبها على مقعدها الوثير تعمل على حاسوبها النقال، كانت مشتتة، ولم تُعطِ عملها حقه في التفكير. مشتتة بحديثها مع والدها. وظلت تفكر أهل هي حقًا تعيش حياة بدون روح؟ بدون سعادة؟ ولكن المال سبب من مسببات السعادة، فكيف لها ألّا تكون سعيدة؟ قطع تفكيرها صوت طرق الباب، وأذنت للطارق بالدخول.

كانت السكرتيرة الخاصة بمكتب المدير، وبلغت "حنين" بلسان المدير أنها ستأخذ دور سلمى في العمل، لتقف مع العمال حتى ينتهوا من عملهم، وهذا سيجعلها تتأخر في العودة إلى المنزل. وأخبرتها السكرتيرة أنها ستأخذ إجازة لفترة محددة حتى تستريح قليلًا، مع زيادة بالمرتب. وافقت "حنين" وسألتها عن المدير حتى تتحدث معه بنفسها.

أخبرتها السكرتيرة أنه في اجتماع لعقد صفقة جديدة وأعطتها ورقة بها ما قالته حتى تمضي عليها.

كانت "عشق" جالسة في غرفتها تذاكر دروسها، فهي منذ الصباح مُنكبة على المذاكرة. كانت الساعة الثانية ظهرًا وقد سئمت دروسها، فبدأت ترسم في كل صفحه تقابلها، وهي تدندن.

ظلت هكذا نصف ساعة، ملت "عشق" فوالدها يجلس بغرفته التي تقبع بجانب غرفتها يقرأ الكتب المفضلة لديه، فهي لا تجد أحدًا يراوغها كما

تفعل شقيقتها فحقًا كم هي مملة الوحدة! جلست "عشق" وحدها تسع ساعات وقد ملت وتشعر بالوحدة! فما بال من يعيش طول العمر وحيدًا؟ كيف لكبار السن أن يجلسوا بالمترل دون زيارة أحد أبنائهم الذين شغلتهم الحياة عنهم؟ من المفترض أن يدينوا لهم بالفضل والشكر. كيف لشخص مل ويَئس من الحياة أن ينعزل عن العالم بأكمله وتكون الوحدة رفيقة له. ولكن ما أفظع الوحدة حينما تصبح آلام الإنسان كثيرة للحد الذي لا يطاق تحمله، ولا يجد من يساعده لحل مشكلاته.

فالاتكاء على الوحدة يأكل الروح وتجعل صاحبها يتعود عليها شيئًا فشيئًا، وهذا هو الخراب بعينه.

نهضت "عشق" وأغلقت جميع كتبها ووضعتها بترتيب، وكانت تفكر منذ أول أمس أهل ترسل رسالة لآسر أم لا؟ فهو حقًا جعلها تعيش أسوأ أيام في حياتها. أيام مليئة بالبكاء المرير، فكانت مترددة بأي شيء عليها أن تفعل. ولكن قام هو بكسر ذلك الحاجز وكأنه يراقبها ويقرأ أفكارها. أعلن رنين هاتفها باسمه، فكانت مترددة فماذا ستقول؟ وفي أي شيء سيتحدثان؟ ولكنها ردت عليه قائلة بتردد حاولت هي أن تخفيه:

– إ..إزيك يا آسر قصدي يا أ/آسر.

– وليه تخليها قصدي وقصدك قوليلي يا آسر على طول.

ردت عليه محاولة إغاظته:

– حاضر يا أ/ اسر.

– عامله إيه؟

- كويسة الحمد لله.

صمتا لبرهة ولكن "عشق" أردفت قائلة:

- ممكن أسألك سؤال وتجاوبني بصراحة؟

- أوباااا طالما في صراحة يبقى أنا لابس فيها دايمًا. قولي.

قالت متسائلة:

- إنت كنت فعلًا ماشي ورا سلمى وهي راجعة من إسكندرية؟

- أيوه حصل.

- بس أنا نفسي أتأكد. إنت ليه عملت كده؟

- ليه دي بقا وعد مني هجاوبك عليها بس مش دلوقتي خليها قدام شوية..عشان تكون في وقتها وليها طعم، إنما دلوقتي ما أعتقدش.

شعرت "عشق" بالضيق من تلك الإجابة، فهي تريد إجابة صريحة حاليًا، حتى لا تعيش في وهم، وهو أكبر وهم وهم يعيشه الإنسان ويكون أحيانًا من طرف واحد وهو الحب.

قالت هو محاولة في تغيير الموضوع:

- إنت صحيح بتشتغل إيه؟

- محاسب.

- طيب ولقيت شغل جديد؟

أخبرها "آسر" بأن الأرزاق بيد الله وليست بأيدي البشر، وأنه تقدم اليوم لوظيفة ولكنه رُفِض، ولن يمل حتى يصل إلى ما يريد أن يكون عليه.

ف"آسر" شاب طموح يعشق المغامرة. ظَلّ يقصُ لها عن حياته وعن والدته، وعن أخيه الذي تركهم منذ تسعة أعوام ولا يعرف عنه شيئًا، حتى أنه لا يعرف في أي مكان يقبع، وعن والده الذي تُوفي منذ صِغره وعن مأساته في الحياة. أشفقت عليه "عشق" كثيرًا، لأنه بالفعل مَرّ بصعاب ومشقات كثيرة. ظلت تدعو الله أن يعوضه عن كل شيء. فجأة وبدون سابق إنذار سمعت "عشق" صوت ارتطام شيء بخارج غرفتها، انقبض قلبها على أثر هذا الصوت، وخرجت من غرفتها حتى ترى ماذا حدث؟، وفجأة صرخت صرخة مدوية هزت أرجاء الغرفة. صُعِق "آسر" وقال بصوتٍ عالٍ مليء بالخوف:

- مالك يا عشق في إيه؟!

ولكن ما من مجيب، خفق قلبه من شدة صراخها، وخاف عليها من أن يصيبها مكروه.

***

(24)

بعد انقضاء ساعتين من الوقت كانت "حنين" قد انتهت من تصميمها. تنهدت بسعادة لأنها أخيرًا انتهت من تصميم منزل "زياد" ويتبقى دور العمال الذين ستقف هي معهم لمتابعتهم. وسمعت صوت طرق الباب، وأذنت للطارق بالدخول، وكان "زياد". سلم عليها وسألها عن آخر ما وصلت عليه. أخبرته أنها انتهت من العمل ويتبقى دور العمال. ولكن هناك شيئًا ما في التصميم تريد أن تأخذ رأيه فيه. فتحت شاشة حاسوبها وأدارتها له حتى ينبهر بذوقها الراقي. ظل يتأمل في التصميم فترة طويلة وهو مُقطّب جبينه، فسألته "حنين" وهي تدعو الله أن ينال إعجابه، حتى لا تُعيده مرة أخرى:

- هو التصميم مش عاجب حضرتك؟

رد عليها وهو ما زال مقطبًا جبينه:

- لا بصراحة مش عاجبني.

ثم نظر لها وقال بابتسامة:

- ده لازم يتنفذ من بكره إن شاء الله. ماكنتش أعرف إن ذوقك حلو أوي كده.

ابتسمت "حنين" وتسارعت دقات قلبها على أثر ابتسامته ثم عرضت عليه صورة أخرى وسألته أن هذا آخر شيء سيصمم في المترل وخيرته ببين ثلاثة ألوان وقالت:

- تختار أي واحد؟

- لأ أنا مليش في الألوان اختاري إنتِ اللي مناسب.

سألته "حنين" بغيظ قائلة وكأنها كالبركان يريد أن يفجر بوجهه:

- أمال فين خطيبة حضرتك عشان تتختار؟

فهم "زياد" على الفور قصدها، وعلم أنها تشتعل بنار الغيرة، فقال بدون اكتراث حتى يستفزها أكثر:

- هي مش فاضية دلوقتي، بس هي ذوقها زي ذوقك بالظبط، فاختارى إنتِ مش إشكال.

غضبت "حنين" وكأن دماءها تصاعدت إلى وجهها، لتصب عليه غضبها من بروده واستفزازه لها، ولكن أنقذها رنين هاتفها مما كانت ستفعل. التقطت هاتفها وردت على المتصل، لم تسمع شيئًا سوى بكاء شقيقتها المرير وهي تستغيث بها، لم تتحمل "حنين" فقامت على الفور وأخذت مفاتيح سيارتها وحقيبتها سريعًا، لم يفهم زياد أي شيء، ولكن

قلبه لم يطاوعه أن يترك "حنين" وحدها، فاستقلّ سيارته وذهب مسرعًا وراءها.

كانت "عشق" بغرفة والدها تحاول إفاقته، فقد سقط مغشيًّا عليه وحوله زجاج متناثر، وقد لطخت يده بالدماء. فخمنت "عشق" أنه قام من فوق مقعده ليجلب كتابًا آخر ولم يستطع التوازن فاستند إلى الطاولة ولم تتحمله فسقطا معًا وانتثر الزجاج بالغرفة. أحضرت عطرًا لتضعه بجانب أنفه، ولكن دون جدوى، حاولت أن ترفعه من الأرض وتضعه على الفراش، ولكن وزنها لن يساعدها على ذلك، فهي ضئيلة جدًّا بجانب والدها. ظلت تجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا، حتى سمعت صوت أحد يطرق على الباب، بالتأكيد شقيقتها. ذهبت مسرعة وفتحت الباب على مصراعيه وهي تجهش بالبكاء، سألتها "حنين":

- في إيه يا عشق بتعيطي ليه؟ حصل حاجة؟

حركت رأسها إيجابًا وأمسكتها من يدها وهي تجرها خلفها حتى غرفة والدهما وقالت:

- بابا كا..

لم تتحمل "حنين" رؤية والدها ملقًى على الأرض هكذا وملطخًا بالدماء. خفق قلبها بشدة وقالت:

- تعالي معايا نسنده ونروح بيه على أقرب مستشفى.

كان "زياد" معهما ولأنه طبيب فقام بإسعاف "شريف" ونقله إلى عيادته حتى يضمد لها جرح يده. كانت "حنين" مندهشة فهي لا تعرف أنه طبيب، كانا يتقابلان في كورس اللغة الإنجليزية، ولكنها لم تتخيل أنه طبيب ولديه عيادة، أُعجبت أكثر بشخصيته، وتداركت الموقف أن والدها مريض.

***

في العيادة فحص "زياد" والدهما المريض وقام بتضميد جرحه، وأخبره بأنه لم يأخذ الأدوية الخاصة بالسكر، فلم يتحمل جسده ووقع مغشيًّا عليه. دلفت الفتاتان لتطمئنا على والدهما، وأخبرهما "زياد" أن هناك بعض المأكولات المحظورة حتى لا يحدث له ذلك مرة أخرى. شكرته الفتاتان على ذوقه وخاصه "حنين". مَرٌّ الوقت ولم يخلو من حديث "شريف" و"زياد". كانت "حنين" تودُّ أن تفتك ب"زياد"، فمن أعطاه إذنًا حتى يأتي معها ويفعل كل ما فعله. هي حقًّا تدين له بالشكر، لكنه لماذا يفعل كل هذا معها؟ ربما لأنه من تصمم له منزله! ربما.

كان اليوم مليئًا بالمغامرات، ولكن اقتربت فيه القلوب من بعضها البعض.

وبعد ساعة عاد الكل إلى منزله، فقد أسدل الليل ستاره.

***

(25)

مرت الأيام.. كانت "حنين" تذهب كل يوم إلى المترل مع العمال حتى تتابع عملهم وترشدهم. في البداية كان الامر شاقًا لها لأنها تعود إلى مترلها كل يوم في وقت متأخر وهي مرهقة، ولا تستطيع أن تجلس مع والدها وشقيقتها. هي فقط تنام لتستيقظ للعمل وتأتي متأخرة لتنام، ولكنها تعودت ذلك. كان مترل "زياد" قد انتهى بالفعل، وكانت "حنين" تسأل "زياد" عن شكل المخطط للأثاث وتخبره أن خطيبته عليها أن تأتي لترى المترل ولكنه يكتفي بأن يخبرها بأن ذوق خطيبته مثل ذوقها تمامًا، فكانت تتمنى أن تراها، ولكن تأتي الرياح كما بما لا تشتهي السفن.

اعتادت "عشق" أن تنظم وقتها ما بين للذهاب إلى الجامعة والمذاكرة حتى لا تتراكم عليها المذاكرة. بينما كان "آسر" يتقدم كل فترة لوظيفة ولكنه يُرفَض، ولكنه لم ييأس بعد، فرحمة الله واسعة. ساعدته "عشق" وبحثت على الإنترنت عن وظيفة حتى وجدت له وظيفة ممتازة، ولكن العائق الوحيد أنها بالقاهرة. فأخبرت "آسر" على الفور ووافق بالطبع. نقل آسر أمتعته هو ووالدته إلى مترل صغير بالقاهرة، وقدم على تلك الوظيفة

وقُبِلَ بها. ظل يعمل أكبر وقت ممكن حتى قام بشراء منزل في منطقة راقية. كان "سيف" ما زال مصممًا على أن يلحق الأذى ب"عشق"، لا يعرف كيف؟ فهي حقًا لا تستحق سوى السعادة، لكنه لا يترك شيء عزم على فعله إلا وفعله. كان "شريف" طوال الوقت جالسًا في غرفته يقرأ الكتب. كان يدعو الله أن يبارك في عمره حتى يطمئن على بنيته ويزوجهما. وسينتظر ذلك اليوم التي ستخرج فيه روحه وهو مطمئن على بنتيه، فهما المصدر الأساسي الذ يُعطي "شريف" أملًا بالحياة، وبدونهما فلا حياة له.

كانت "سلمى" ووالدتها في حالة قلق على والدها، أخبرهما الأطباء أنه يحتاج إلى إجراء عملية، ولكن ليس الآن، بعد أسبوعين. وافقا على الفور فهما تريدان صحته وعافيته، بينما كانت "سلمى" تقف مكان والدها بالعمل وها قد تعودت عليه ورفعت من رأس مال الشركة. تودُّ فقط أن يصبح والدها بخير حتى تخبره.

***

في يوم من الأيام كانت "حنين" تجلس في غرفتها تقرأ أحد الكتب التي أعطاها والدها إياه من قبل. كانت ترتدي نظارتها الطبية وهي جالسة على مكتبها. مَن يَرَها يقل إنها تحضر رسالة دكتوراه لشدة تعلق عينيها بالكتاب، حتى هاتفها ظل يصدح ولكنها لم تُعِره أي اهتمام. دلفت "عشق" – التي كانت ترتدي فستان سواريه باللون اللبني وشعرها منسدلًا على كتفيها وتضع بعض اللمسات من مساحيق التجميل التي جعلتها في غاية الجمال إلى الغرفة وقالت بصوتٍ عالٍ:

- حنيييييييين.

انتفضت هي على أثر ذلك الصوت المزعج وقالت وهي مقطبة جبينها:

- إيه الإزعاج ده هو إنتِ مش شايفة إني مش فاضية.

نظرت لها ورفعت إحدى حاجبيها وقالت:

- البيه وراه إيه؟ ها؟

ثم نزعت من يدها الكتاب وقالت وهي تشير لها على شيء ما يوضع على سريرها:

- يلا يا جميل قومي البسي الفستان ده عشان تيجي معايا خطوبة صاحبتي.

ابتسمت لها "حنين" وقالت لها مازحة:

- مش ورايا غير عشق عشق عشق، بس هعمل إيه بحبها.

صدح صوت هاتف "حنين" الذي أرغم "عشق" على الصمت حتى تنتهي المكالمة لترد عليها. كانت المتحدث زياد، أخبرها أنه يريدها الآن لأنه قد جلب بعضًا من الأثاث ويريدها أن تضعه في مكانه المناسب. ترددت "حنين" لأنه ليس وقت عمل، ولأنها ستذهب مع شقيقتها. فاعتذرت له لأنها لأن تستطيع. أخبرها أن الوقت لن يستغرق أكثر من ربع ساعة، نظرت إلى "عشق" التي كانت ملامحها حزينهة لأنها لن تذهب معها. كانت "حنين" قد انتهت من المكالمة وأخبرت شقيقتها أنها لن تستطيع أن تأتي معها فردت عليها قائلة:

- أنا عندي فكرة حلوة.

قالت بملل:

- إشجيني.

- إنتِ إلبسي الفستان دة وأنا هنزل معاكي، هتروحي المشوار بتاعك ووإحنا راجعين هنروح بقا الخطوبة

ردت عليها رافضة لما سمعته منها:

- لا صدقيني مش هينفع.

- خلاص إيه رأيك أهطلع معاكي ولو سأل هنقول له إن إحنا رايحين خطوبة مش مشكلة يعني.

نظرت لها "حنين" مطولًا وهي تفكر، ولم تكف شقيقتها من:

- عشان خاطري عشان خاطري عشان خاطري.

وافقت "حنين" فهي لا تريد أن تخذل شيقتها في شيء طلبته منها. ظلت "عشق" تلتف حول نفسها وكان يتطاير في الهواء، كانت تشعر بأنها فراشة تتنقل في الحقول من زهرة لزهرة، وأخبرت شقيقتها أنها ستنتظرها في الخارج حتى تنتهي من ارتداء ملابسها. وبالفعل قامت "حنين" بارتداء فستانها الذي من المفترض أن تكون "عشق" قد انتقته لها. خرجت بعد ساعة من الغرفة وقالت لها "عشق" بغيظ:

- لا إتأخري كمان شوية.

قهقهت "حنين" على أسلوبها وشكلها الطفولي وقالت متسائلة:

- إيه ده أمال فين بابا عشان نسلم عليه؟!

أمسكتها "عشق" من يدها وجرجرتها وراءها حتى خرجتا من المنزل وقالت:

- أكيد بابا بيقرأ كتب من كتبه، أنا استأذنته إننا نخرج ووافق.

وبالفعل استقلتا السيارة وكانتا تتحدثان معًا عن صديقة "عشق" وعمّا ستفعله بخطبتها. اصطفت "حنين" سيارتها وترجّلت منها وأخبرتها شقيقتها أنها ستنتظرها بالسيارة.

دلفت "حنين" إلى البناية التي بها منزل زياد التي صممته على ذوقها وطرقت الباب لتكون المفاجأة. رأت والدها هو من يفتح الباب صُعقت "حنين"، ألم يكن والدها بالمنزل؟ وما الذي جاء به إلى هنا؟ كانت "حنين" ترتدي فستانًا أخضر اللون وبه بعض النقوش وغطاء شعرها ملون باللون البيج الذي يتناسق مع حذائها ذي الكعب العالي. نظر لها والدها وقال بدهشة:

- إنتِ بتعملي إيه هنا؟

***

في السعودية عادت "سلمى" من عملها الذي يرهقها جدًّا وذهبت إلى المشفى سريعًا حتى تطمئنَّ على والدها. ذهبت إلى الطبيب الخاص بحالته وأخبرها أن العملية ستكون بعد غد، ظلت تبكي لخوفها على والدها الذي

لم تعش معه سوى مرحلة الطفولة، فهي تتذكر له الخير دائمًا. لم تستمتع بوجوده كأب لها فكلٌ منهما في مكان آخر. كففت دموعها وعادت إلى منزلها. أخبرت والدها بما علمته بالمشفى، وقامتا هما الاثنان لتتوضآ وتصليا معًا وتدعوا الله له بالشفاء العاجل.

***

صُعقت "حنين" من وجود والدها، ولم تستطع الرد عليه فقد أُلجم لسانها من شدة الدهشة. هنا جاءت "عشق" وعندما وجدت والدها تعجبت هي أيضًا وأخبرته أن شقيقتها ستضع بعض الأثاث ل"زياد" وتذهبان إلى خطبة صديقتهما. تصنع "شريف" الموافقة. ودلفوا إلى الداخل وكان المكان مظلمًا، وفجأة اشتعلت الأنوار ولم تصدق "حنين" ما رأته عيناها.

كان المكان مزينًا ومليئًا بالأشخاص، كانت تعرف بعضهم لأنهم معها بالعمل والبعض الآخر لا تعرفه. فتعجبت أكثر ماذا يفعلون هنا؟ وفجأة شعرت بأحد يضع شيئًا حول رقبتها، فالتفت لترى من الذي وضع لها السلسلة التي كانت مصنوعة من الذهب وعليها حرفان، وكان "زياد"، فكان ممسكًا بباقة من الورد الأحمر ويقف قبالتها وقال لها:

- تتجوزيني؟!

صُعقت "حنين" وتوردت وجنتاها من شدة الخجل. فهي لم تتوقع أن يحدث شيء كانت تعلم أنه مجرد وهم. ظلت مشتتة ومترددة لم تنبس

بنت شفة. ظلت تنظر إليه وهي غير مصدقة نفسها. قال والدها لــ"زياد" محاولًا لأن يجعل ابنته توافق على الفور:

- لا روح بيتك يا زياد، شكلها مش موافقة.

قالت "عشق" سريعًا:

- لا إستنى.

وكرر "زياد" عليها السؤال مرة أخرى، فكانت حقًا مترددة، وفجأة تذكرت جملة سلمى لها (تمتعي بترك التفكير بعقلك ولو مرة واحدة).

فهي مهما تكابر يبقَ بداخلها زاوية ترتعش لحظة حضور "زياد". ظل الجميع يهتف ب:

- وافقي يا حنين.

إلى أن تحرك الجبل أخيرًا ونطق:

- موافقة.

اعتلى التصفيق والصفير أرجاء المنزل، شعرت "حنين" بأن قلبها ينبض وبشدة. فها هو يتحقق أمام عينها ما تخيلته في ليالٍ. وامتلأ المكان بالزغاريد.

جلس الاثنان على كرسيين يتوسطه طاولة مليئة بالورد. كانت "حنين" في قمة سعادتها، فكانت تريد أن تحلق في السماء من شدة السعادة. واعتلى الصوت في المكان ب (يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا). كانت "عشق" سعيدة

بشقيقتها التي تبدو وكأنها القمر اليوم، وأنها استطاعت أن تقنعها بأمر خطبة صديقتها.

انتشرت البهجة والسعادة بقلوب الجميع وخاصةً "حنين" و"زياد". الذين قد اتفقا مع "شريف" أن يكون الزفاف بعد شهر من الآن.

***

كان "آسر" يعمل بكل ما وسعه حتى يجمع أكبر قدر من المال، وكان يساعده على ذلك دعوه والدته كل يوم (ربنا يفتحها في وشك يا ابني).

كان يتحدث مع "عشق" ويخبرها عن كل أخباره أولًا بأول، وهي تدعو له بظهر الغيب، فكما يقال: (تهادوا الحب غيبًا بالدعاء). في صباح يوم الجمعة جلست "عشق" في الحديقة الملحقة بالمترل وجلست بين الزهور والحشائش ودت أن تفعل شيئًا غير روتيني ويسعدها، وبالفعل ظلت تلتف حول نفسها وكان صنبور المياه يغدق عليها بعضًا من الماء في كل مرة تقترب منه بدون قصدها وهي تلتف. تعبت من كثرة الحركة وارتمت على الأرض. ظلت تنظر إلى السماء وهي ترسم البسمة على وجهها. أغمضت عينيها من كثرة التعب ولم تفارق البسمة ثغرها. كانت "عشق" تجري في الحديقة هي و"آسر" وتريد الإمساك به، ولكنها لم تستطع لمرونته وسرعته في الحركة. ظلا هكذا لمدة نصف ساعة. أمسكت "عشق" ظهرها وقالت بألم:

– الله يهدك ضهري اتقطم.

فذهب مسرعًا إليها وهو يتملكه الخوف، وما إن اقترب منها حتى أمسكت هي به وقالت بصوت طفولي محاولة إغاظته:

- وكسبتك.

- بتضحكي عليا طيب أشوف فيكي يوم يا عشق.

خرج "شريف" إلى الحديقة وما إن رأى "عشق" على الأرض وهي مبتلة من أثر الماء فناداها حتى تقوم بتغيير ملابسها، ولكنها لم تستجب، فكانت شاردة. ذهب هو إليها وأمسكها من يدها وناداها حتى عادت إلى الواقع وظلت تنظر حولها قائلة وهي تلتفت حولها لعلها تجد "آسر"، فهي متأكدة أنه ليس بحلم:

- هو كان في حد معايا يا بابا؟!

- حد! إنتِ شكلك سخنتي وبتخرفي كمان. قومي يلا من الهوا وغيري لبسك.

أذعنت "عشق" إلى أوامر والدها وقامت بتبديل ملابسها ولكنها لم تجد ملابسها التي بها ميكي ماوس، فظنّت أن ملابسها لعلها قد وضعتها بعيدًا دون قصد ولكن بدون جدوى، فذهبت إلى شقيقتها لتسألها لو كانت رأتها، ولكنها تفاجأت بأن "حنين" ترتديها فقالت هي بدهشة:

- يعنى أنا أدور على لبسي وفي الأخر تكوني لابساه.

ردت عليها بثقة محاولة استفزازها:

- عجبني قلت أجربه.

علمت "عشق" أنها تحاول استفزازها، فقالت بسخرية:

- بقى مهندسة ديكور أد الدنيا تلبس بيجامة مرسوم عليها ميكي ماوس ليه يعني؟! بتصممي ديزني لاند!

- وماله ما إنتِ زي الشحطة أهو في رابعة جامعة وبتلبسي ميكي ماوس.

اغتاظت "عشق" على أثر الجملة الأخيرة، فأمسكت بإحدى الوسائد لتضرب بها شقيقتها وكذلك "حنين". سمع "شريف" ضحكاتهما من الخارج، فابتسم هو الآخر، ودعا الله أن يديمها عليهم نعمة.

***

(26)

في أحد الكافيهات التي تطل على النيل كان كلٌ من "حنين" و"زياد" يرتشفان القهوة التي طلبوها. ظلت "حنين" شاردة بالنيل وكأنه تسأله: هل القادم أفضل؟ أم أن سعادتها لن تدوم؟ أخرجها "زياد" من حالة شرودها بسؤاله لها:

- صحيح يا حنين هتشتري شقة وتعمليها مكتب؟

- أيوه صح، ده حلمي بجد من زمان وأنا نفسي في كده وإن شاء الله هيتحقق

- إن شاء الله، أهم حاجة إنك تكوني مبسوطة.

ردت بابتسامة:

- الحمد لله مبسوطة.

صمتت برهة وأكملت قائلة وهي تنظر للنيل:

- مبسوطة بوجدك معايا،كفاية إنك على طول واقف جمبي وبتشجعني، حقيقي ما كنتش أتخيل كدة، بس أنا سعيدة بكده.

– لا أنا بتغر بسرعة.

ضحكت هي على أثر جملته وقضوا وقتًا ممتعًا، لم تتوقع "حنين" أن تعيشه. بينما كان "زياد" سعيدًا، لأنه أحبها منذ أول مرة رآها بها، فهي ليست كالأخريات، هي متميزة بعملها وسلطتها وقوة شخصيتها. أحب فيها ذوقها الرائع المليء بالإحساس والفن.

***

كانت "عشق" جالسة بغرفتها تذاكر دروسها، على أنغام فيروز التي تسللت إلى غرفتها فجأة، فهي لا تحب الأشياء القديمة حتى ولو كانت أغاني. خرجت من غرفتها حتى تخبر والدها أنها لا تستطيع المذاكرة بسبب الصوت، وبالفعل أغلق "شريف" الراديو حتى تستطيع ابنته أن تستذكر دروسها جيدًا، وذهب هو إلى غرفته حتى يكمل قراءته.

صعدت "عشق" إلى غرفتها التي ما إن جلست على مقعدها حتى أعلن هاتفها بوصول رسالة وكانت من "آسر" وكانت كالآتي:

–"عشق إحنا لازم نتقابل ضروري في حاجة مهمة عاوز أقولهالك. نتقابل في كافيه".. ." كمان ساعة."

تعجبت "عشق" من رسالته، فهو دائمًا يهاتفها عندما يريد أن يخبرها بشيء. فظل قلبها يدقُّ بشدة، لا تعرف لماذا، ولكن هناك شيئًا سيحدث.

بدَّلت ملابسها سريعًا، واستقلت سيارة أجرة ولم يتوقف عقلها عن التفكير. هي سعيدة لأنها لم ترَه منذ فترة طويلة وخائفة لأن هناك شيئًا ما

جعل "آسر" يطلب منها أن يتقابلا. ترجلت هي من السيارة، ودلفت إلى الداخل وظلت تنظر في وجوه الجالسين حتى تصل إلى "آسر"، ولكن المكان مزدحم ومليء بالأشخاص. وجدت "آسر" من بعيد وهو يشير لها حتى تأتي إليه. وبالفعل ذهبت وجلست في المقعد المقابل له وقالت بشغف:

- خير يا آسر في إيه؟

صمت دقيقتين ثم قال بهدوء وهو ينظر إلى هاتفه:

- من فترة صغيرة في واحد بعت لي إضافة على الفيس وقبلته، كان كل يوم بينزل كلام حب، قلت عادي واحد وبيحب، مرة في مرة نزل اسمها قلت مش إشكال، المرة الأخيرة نزل صورها. حسيت إني إتصدمت.

أكمل بمراره قائلاً:

- أصل اللي هو بيتكلم عنها واللي نزل صورها دي واحدة أنا بحبها أووي.

كانت "عشق" تستمع إليه وهي تحبس الدموع في عينيها، فمن التي يحبها "آسر" سواها. أكمل هو قائلًا:

- عارفة لما تحسي إن شخص عندك بالدنيا وما فيها وروحك فيه ومستعدة تعملي أي حاجة عشان تسعديه وفي الآخر يطلع ده كله كذب؟

قالت متسائلة:

- هي مين دي يا آسر.

قال بأسًى محاولًا ألّا يضع عينه بعينها:

- إنتِ.

وأعطاها هاتفه وكانت صورة لها مع "سيف"، لم تصدق "عشق" كل ما يحدث. يا الله! هل تصل الكراهية إلى هذا الحد؟ لم تتخيل أن يؤذيها "سيف" بتلك الطريقة؟ نظرت هي إلى "آسر" الذي كان ينظر لها باحتقار وكان يهم بالقيام فطلبت منه أن يسمعها كما سمعته، فأعطاها فرصة حتى ينظر إليها نظرة أخيرة قبل أن يتركها للأبد. قالت "عشق" ببكاء:

- اللي في الصورة ده واحد معايا في الجامعة اسمه "سيف" كنا نعرف بعض زمان وبنتقابل في كافيتريا الجامعه كل فترة ودي صورة اتصورناها في آخر يوم في الجامعة لما كنا عاملين حفلة، حتى واحدة صاحبتي هي اللي صورتنا. وأنا قطعت علاقتي بيه من فترة طويلة، صدقني الصورة دي من سنتين. هو أيوه بيطاردني في كل مكان بس أنا هزقته جامد، عشان كده بينتقم مني. مصدقني؟

كان "آسر" ينظر لها ويتمنى أن يصدق كلامها . أخذ منها هاتفه ونظر لها نظرة أخيرة ثم تركها وحدها وهي تبكي، غير مصدقة أنه سيتركها.

***

مرت الأيام وكانت "عشق" ما زالت خائفة من أن تفقد "آسر" للأبد. كانت دائمًا على تواصل معه عبر الرسائل، وفي آخر مرة أخبرها بأنه لن يستطيع أن يكمل معها، وما إن سمعت "عشق" ما قاله وهي تبكي ليلًا

نهارًا. فما أصعب أن يعشق القلبُ قلبًا، وفي النهاية لا يكون من نصيبه. إنه المعنى الحقيقي لِكي القلوب وهي ما زالت على قيد الحياة. أحست "عشق" بأنها ستظل وحيدة طوال حياتها، فها هي شقيقتها تعيش أيام سعيدة بجانب من يعشقها، وها هي جالسة وليس بيدها أي شيء لتفعله. فما أصعب أن يكون نصيبك من الدنيا أن تحب شخصًا كل الطرق لا تؤدي إليه.

رقَّ قلبها لوالدتها التي توفت فور ولادتها، لم تشعر في يوم من الأيام بحنان الأم، كانت ترى أصدقاءها وهم يتحدثون بفخر عن والداتهم، وهي تنظر أرضًا حتى تخفي دموعها. يا الله إنه حقًّا لأمر شاق على أن تتحمله طفلة في سنها، ولكنها عندما أصبحت بالمرحلة الجامعية، وما زالت الطفلة التي بداخلها مسيطرة على شخصيتها الرزينة.

شعرت بأنها قصّرت كثيرًا تجاه الله سبحانه وتعالى، فهي لا تقرأ القرآن ولا تواظب على صلاتها وتهاتف الشباب ولا ترتدي ملابس محتشمة ولا ترتدي الحجاب مثل شقيقتها التي نصحتها قبل ذاك، ولكنها رفضت حتى كما يقولون: (عشان تعيش سنها). فكل هذه الأشياء محرمة أباحتها "عشق" لنفسها، ككثير من الأشخاص الآن. عزمت هي على أن تترك ماضيها بأكمله، وأن تبدأ حياة جديدة مع الله. تعرفت إلى فتيات في الجامعة يرتدين ملابس شرعية، وبدأت في حفظ القرآن الكريم. تغيرت "عشق" مائة وثمانين درجة، وقطعت علاقتها ب"آسر" نهائيًا التي ما زالت تحبه، ولكنها تعلم أن نصيبها آتٍ لا محالة، فهي حقًّا تغيرت أصبحت أكثر حرصًا على ألَّا يوجد في حياتها كَذب ونِفاق، ابتعدت عن كل من يعكر

صفو مزاجها، وأصبحت أكثر تفكيرًا بنفسها. تفاجأ والدها بذلك التغير الذي طرأ على ابنته، ولكنه ظل يشجعها على ذلك الطريق، فهو الطريق الصواب.

كانت "حنين" منشغلة طوال الوقت في عملها، وفي التحضير لمكتبها وحينما يعرض عليها "زياد" الخروج بأي مكان ترفض، حتى أنه مَلّ من أسلوبها وحديثها في الكلام. فالحب في مجتمعنا مثل الحلوى، بدايته رائعة وجميلة ولها مذاق رائع، وفي النهاية يختفي. فكانت "حنين" لا تعلم أنه ملّ منها لأن هذه طريقتها وأسلوبها في التعامل رسميه جدًا، ولكن "زياد" كان يضع لها أعذارًا لأنها مضغوطة بالعمل.

في يوم من الأيام كانت "عشق" جالسة في القاعة تستمع إلى محاضرتها بإنصات، وكان قد وصل إليها رسالة، عزمت على أن تقرأها حينما تنتهي المحاضرة. هي كانت تعلم أنها من "آسر" ولكنه ليس أهم من محاضرتها، فهي قد عزمت على ألّا تجعله شيئًا رئيسيًا في حياتها، فها هو كل يوم يرسل إليها رساله ولكنها لا تعيره أي اهتمام. فمن يعرف "عشق" حق المعرفة سيعلم أنها إن عزمت على فعل شيء فستنجح فيه وبجدارة. ظلت منصتة لدكتور المادة وتدون وراءه كل ما يقول، حتى انتهت المحاضرة.

سلمت "عشق" على صديقاتها وخرجت من الجامعة لتستقل إحدى سيارات الأجرة. في إحدى سيارات الأجرة كانت "عشق" جالسة وقررت على أن تقرأ رسالة "آسر" التي خُطِفَ لون وجهها حينما قرأتها، فكان يخبرها بأنه سيأتي اليوم ويخبر والدها باخر الاخبار التى وصلت له عن طريق

سيف، فتملك قلب "عشق" الخوف لأن الشخص الذي أحبته سيؤذيها، فكانت سترد عليه الرسالة إلا أن سيارة الأجرة تقف بها أمام المترل، فأعطت السائق حقه، ودلفت إلى المترل، لتتفاجأ بوجوده، وظلت محدقه به وهي تحبس الدموع بعينيها.

***

(27)

ظلت "عشق" محدقة إليه وهي تحبس الدموع بعينيها، لأنها إن تركت لهم العنان ستفضح أكثر، فقررت أن تتكلم ولكن قاطعها والدها قائلًا:

- إدخلي على أوضتك بسرعة.

تسلل الخوف إلى قلبها، لا تعرف ماذا عليها أن تفعل، إن الله غفور رحيم، فما بال البشر! لما كل تلك القسوة والحقد الذي يقبع بداخل صدر "آسر".

ظلت تحدث نفسها، ماذا فعلت له ليؤذيها هكذا؟ كانت بجانبه في أشد الأوقات، لم يفعل ذلك معها. وفي ثوانٍ تحرك الحب في قلبها إلى حقد وكراهية.

وفجأة سمعت صوت والدها يناديها. تسلل الرعب إلى قلبها، فذهبت إلى والدها بخطوات مترددة ونظرت إلى أسفل وما إن رأتها "حنين" حتى أطلقت الزغاريد. نظرت لها "عشق" بصدمة. جثا "آسر" على ركبتيه وفتح علبة ثمينة وبها خاتم رقيق ويبدو أنه باهظ الثمن وقال بصوته الرخيم:

- تتجوزيني يا عشق؟!

لم تصدق "عشق" ما رأتها عيناها ولا ما سمعته أذناها. اغرورقت عيناها بالدموع ومَرَّ أمام عينيها تلك الأيام الصعبة التي مرت بها وحدها، وكيف تركها آسر وهددها وأدخل الرعب على قلبها، فكان يذبحها غيابًا وعشقًا وشوقًا، ولكن الحب يفوق كل هذا الوجع. ردت عليه وهي تمسح دموعها التي كانت تسيل كالشلال على وجنتيها:

- موافقة.

صفق والدها بحرارة، ولم تكف "حنين" عن الزغاريد. ألبسها "آسر" الخاتم وقبل يدها، ثم نظر إلى والدها وقال:

- إيه رأيك يا عمي نعمل كتب الكتاب والفرح بعد أسبوعين؟

نظر "شريف" إلى ابنته التي كانت السعادة تملأ وجهها وقال:

- خلاص يا ابني، يبقى ألف مبروك.

تعالت الزغاريد وكانت القلوب تحلق في السماء. لم يتبقَّ الكثير حتى يتحقق ما تمناه "شريف" لبنتيه. ظَلَّ يحمد الله ويشكره. استأذن "آسر" والد "عشق" في أن يتحدث قليلًا معها، وبالفعل وافق "شريف" وذهب هو و"حنين" ليعدا لهما مشروبًا ساخنًا. في الشرفة نظر "آسر" ل "عشق" مطولًا قبل أن يقول:

- أنا آسف على اللي عملته وإني ما صدقتكيش، آسف عشان ماكنش ليا حق أسيبك الفترة دي. أنا عارف إن الإنسان بيخطأ وربنا غفور رحيم.

كانت "عشق" تبكي وهي تستمع إليه فأكمل هو قائلًا وهو يعطيها وردة حمراء:

- تعرفي! مهما إتخانقنا وبعدنا عن بعض هرجع ليكي بردو عشان بشوف فيكي أمي، ممكن تسامحيني؟!

ردت عليه وهي ما زالت تبكي:

- مسمحاك يا آسر عارف ليه؟! عشان اللي بيحب عمره ما يكره اللي حبه أبداً.

وابتسمت وأكملت قائلة:

- وبعدين لما أزعل ما تراضينيش بورده، راضيني بسندوتش شاورما أو غزل بنات حتى.

وهنا جاء "شريف" وابنته وقال:

- تيرارارارااا تحبوا اجيبلكوا شجرة واتنين ليمون؟ إيه السهوكة دي؟

ضحكوا جميعًا على ما قاله الأب، وأردفت "حنين" قائلة وهي تضحك موجهة حديثها لشقيقتها:

- وبعدين يا بنتي مش أول ما يجي يصالحك تضحكي وتكلّميه على طول كده، إتقلي شوية. يعنى إحنا كبنات وذُكِر إن كيدهن عظيم والشيطان بيتعلم مننا وكل الحبشتكانات دي، منظرنا إيه قدام الناس، ماتصغريناش بقا.

نظر لها "آسر" بغيظ، وضحكوا جميعًا وعمت السعادة في قلوبهم. فما أجمل أن يعترف المخطئ بخطئه! وما أجمل أن يكون حبيبًا! فقد رزقها الله به بعد عناء.

***

كان المكان مظلمًا ولا يوجد صوت سوى صفير الهواء الذي يتسلسل من النوافذ ليصنع صوتًا مرعبًا. كانت "حنين" جالسة على فراشها تقرأ إحدى الروايات التي أهداها إياها "زياد". كانت البطلة في حالة ذعر حينما علمت بكره أحد الأشخاص المقربين إليها، كانت الصدمة كبيرة لها وظلت تصرخ وتصرخ حتى شعرت "حنين" بالاختناق وأغلقتها سريعًا، فقامت لتجلس على مكتبها لرسم تصاميم معينة أو أي فكرة تخطر على بالها حتى تنسى تلك الرواية المرعبة. بدأت الأمطار تسيل في الخارج بشدة مع أصوات الرعد والبرق التي تجعل أي أحد يسمع صوتها يرتعد من الخوف.

وفجأة سمعت "حنين" صوت كسر الزجاج بالشرفة الملحقة بغرفتها وكان "زياد" الذي ابتلَّ تمامًا من المطر. فاستراحت هي حينما رأها ولكنها تعجبت وسألته:

- إنت دخلت إزاي هنا يا زياد؟

لم يرد عليها بل أخرج شيئًا ما من جيبه، ارتعد قلب "حنين" لرؤيته فكان سكينًا، وكان يقترب منها شيئًا فشيئًا، فظلت تصرخ حتى تستنجد

بأحد ولكن ما من مجيب. اقترب منها بسرعة ووضع السكين على رقبتها وقتلها. ثم هرب سريعًا حتى لا يراه أحد.

استيقظت "حنين" بصرخة مدوية هزّت بها أرجاء المترل، وعلى أثرها جاءت شقيقتها مسرعة. كانت "حنين" ممسكة برقبتها وهي تأخذ نفسها بصعوبة، لم تصدق نفسها أنها ما زالت على قيد الحياة وأن هذا كان مجرد كابوس. كابوس؟! إنه أسوأ شيء رأته بحياتها، كيف لمن دق له قلبها أن يقتلها. كانت خائفة جدًّا لا تعرف ما تفسير ذلك الحلم، ولا تريد حتى لا تبعد عن "زياد". احتضنتها شقيقتها وظلت تربت على كتفيها وقالت لها:

– قومي صلى ركعتين يا حنين ويلا عشان تلحقي تجهزي في المكتب بتاعك.

ابتسمت هي على أثر جملتها. فهي تحمل قلبًا واسعًا نقيًّا طيبًا، يا الله كم هي نعمة! وبالفعل قامت "حنين" لتتوضأ وتُصلي وتدعو الله أن ييسر لها أمورها. استعدت للذهاب إلى مكتبها التي تحضره منذ فترة، وتستقيل من الشركة حتى تصبح هي صاحبه عمل. سلمت "حنين" على والدها وشقيقتها وانطلقت حتى تكمل ما تبقى لديها حتى تُعلن عن افتتاح مكتبها الخاص بالديكور.

ذهبت "عشق" إلى جامعتها وكانت آخر مرة تذهب فيها إلى الجامعة لأنها بعد ذلك ستكون مشغولة بالتحضير لزفافها، وستأتي بعد ذلك عند الاختبارات. انتهت من محاضرتها وهمّت بالخروج من الجامعة ولكن أوقفها "سيف" وقال بتكبر:

- إيه أخبار حبيب القلب؟

- أحسن منك.

كان هناك أحد الأشخاص قادم ل"عشق" ولكنها رآها تتحدث مع ذلك الشاب فقام بمراقبتها ونار الغيرة تشتعل بداخله، وصمم على أن يرى ماذا سيحدث. سألته ببرود:

- إنت عرفت آسر منين؟

- شوفي بقا صاحبتك اللي ملازماكي دايمًا، أخدت الكلام من بوقك وجت تقول ليا.

استشاطت غضبًا،فهي تريد أن تعرف من التي تنقل أخبارها ل"سيف". حاول أن يستفزها بأسلوبه فقال:

- أكيد بتعيطي وزعلانة بعد اللي عرفه عنك ما إنتِ واحدة حقيرة أساسًا وما تستحـ..

لم يكمل كلامه حيث قامت "عشق" بصفعه صفعة مدوية على وجنته، هزت كيانه. كان ذلك الشخص ما زال يراقبها وخفق قلبه حينما صفعته، فمن المؤكد أنه يضايقها، فهمَّ بالاقتراب ليساعدها. قالت هي بعصبية:

- إخرس قطع لسانك، ما تجيبش سيرتي على لسانك ده بعد كده، إنت أحقر بني آدم شفته في حياتي، خربت حياتي وبوظتلي دنيتي بغبائك.

كاد أن يرد لها الصفعة، ولكن ظهر الشخص الذي كان يراقبها وكان "آسر"، أمسك ب "سيف" ولوى ذراعه، صرخ هو في ألم، وظل يلكمه في

وجهه حتى طرحه أرضًا والدماء تسيل من فمه ووجه قد تورم. أمسك بياقة قميصه وحذّره ألّا يقترب من "عشق" ولا يؤذيها، لأن الخسائر ستكون وخيمة. جاء طلاب الجامعة حتى ينقذوا "سيف" من بين يدي ذلك الرجل حتى لا يقتله.

وبالفعل تركه "آسر" وأخذ معه "عشق" وخرجا من الجامعة ليستقلا السيارة ويعودا إلى منزل "شريف". ظل "آسر" يُهدِّئها وأعطاها بوكيه من الورد الذي تفاجأت به وكان سعيدًا لأنه انتقم من "سيف" الذي باعد بينه وبين معشوقته. في منزل "شريف" جلسوا جميعًا في الشرفة وظلوا يتحدثون في الترتيبات التي ستتم قبل زفافهم، وعندما انتهوا قال "آسر" لـــ"عشق":

- أنا نفسي أسألك سؤال من أول مرة سمعت اسمك.

قالت له:

- اتفضل سمعاك.

قال لها:

- إيه معنى اسمك؟ مين اللي سماكي عشق؟

نظرت إلى والدها وقالت بابتسامة:

- بابا هو اللي سماني عشق. دايمًا وأنا صغيرة كنت بزعل لأن اسمي غريب وسط صحابي ويتريقوا عليا، كنت أروح أعيط فكان دايمًا يقول لي: (سمعت عن العشق دون لقاء، عشق الروح للروح والصوت والكلمات، عشق تلتقي فيه الأرواح، لذلك عَشِقتُ عِشقَ العُشاقِ فأسميتها عِشق)

- اسم مميز فعلًا، ربنا يخليكوا بعض.

التفوا جميعًا حول مائدة الطعام وجلسوا يتناولونه بطعم آخر، بطعم ملي بالحب. يا الله كم هو جميل أن يهتم العشاق بمن عشقوهم! فها هو الحلم يتحقق. حقًا إن الله لا يخذل عبدًا بكى وتضرَّع إليه.

في المساء كانت "عشق" و"سلمى" تتحدثان بالهاتف، وأخبرتها "عشق" بخطبتها هي وشقيقتها. سعدت لهما "سلمى" من قلبها وظلت تدعو الله لهما بالسعادة. قالت "سلمى" لصديقتها:

- بصي يا "عشق" أنا هنصحك عشان بحبك. فمن فضلك اتأكدي إنه فعلا الراجل اللي ينفع إنه يكون أبو اولادك، وكمان فكري كده لما تكوني زعلانة معاه هينفع تسيبي بيتك لأنك مش طايقاه مثلًا؟ ولا أخلاقه وقت الزعل بتكون في منتهى النبل؟ وبيعرف يفصل؟ تأكدي إنه اختارك بكل ما فيكي عيوبك، مميزاتك، وحَبك على كده وراضي بيكي على كده، لأنك الوحيدة اللي ماليه عينه. وإنك الوحيدة اللي معاكي سره، وإنك الوحيدة اللي بتعرفي تخليه مبسوط، وإنك الوحيدة اللي بتحسي بيه حتى لما بيكون بعيد. تأكدي إنه فعلًا يستحق يكون بديل عن عمو "شريف" و"حنين". وأن يكون طباعه جميلة جدًّا. تأكدي إنك لما هتكوني ماشية جانبه هتكوني كلك فخر وزهو إنك بتحبي الراجل ده؟ عشان الراجل ده مبيحبش حد غيرك إنتِ ولا يتمنى حد غيرك إنتِ، عشان محدش يملى عينه غيرك إنتِ.

كانت تستمع إليها وهي متأكدة أن "آسر" به تلك الصفات. أخبرتها "عشق" بموعد زفافها وأخبرتها أنها ستكون في انتظارها، ولكن اعتذرت

سلمى لأن شركة والدها في رقبتها، ولن تأتي إلى مصر حتى يصبح والدها بخير. حزنت "عشق" لأن صديقتها لن تكون بجانبها ذلك اليوم، ولكنها تمنت لها وقتًا سعيدًا.

***

(28)

كانت تملك نفسها ما بين العمل والتحضير في المكتب ووقوفها مع العمال حتى تنهيه بالشكل الذي يرضيها. لاحظ "زياد" في شخصياتها العديد من السلبيات التي دائمًا يتغاضى عنها، لأنه يحبها ولا يتمنى خسارتها. لاحظ فيها العند في أثناء حديثهما، فلو خالفها في الرأي تبدأ عنادها ومكابرتها، حتى تقنعه برأيها هي، لاحظ أيضًا الغرور بها، فعملها أعطاها قوة خفية لتتكبر بها على من يشعرها بأنها مثل الأخريات، لاحظ أن معظم أمورها لا تأخذها بالعاطفة، فهي تأخذها بعقلها وعلى محمل الجد. ولكنه يرى أن إيجابياتها أكثر، وأقنع نفسه أنه سيغيرها بعد الزواج.

***

كانت "عشق" تستعد لزفافها. ذهبت هي ووالدها مع "آسر" حتى يشتروا (الشبكة)، وذهبوا إلى الأتيليه ليأخذوا فستان الزفاف الذي صممت على أن لا يراه "آسر" حتى تكون مفاجأة له. كانت حزينة لأنها ستترك والدها وشقيقتها، وبعد أسبوعين سيكون زفاف شقيقتها وسيتركوا "شريف" وحده ،فكانت حزينه لفراق والدها، ولكنه يطمأنها دائمًا بأنه

سيزوروها كثيرًا. اتفق "آسر" مع "عشق" أن والدته سوف تقبع معهم في منزلهم، فوافقت هي على الفور، فوالدته طيبة القلب ودائمًا تعوضها عن حنان الأم الذي افتقدته طوال حياتها.

جاء اليوم المنتظر وهو يوم زفاف "آسر" و"عشق"، وعمّت السعادة في قلوب الجميع. دلف "شريف" إلى غرفة "عشق" وجلس بجانبها وهو يقول:

- فاكرة لما سألتكوا قبل كده لو اتعرض على كل واحدة فيكوا إنها تتجوز من راجل كويس وبيحبها هتوافق؟

حركت "عشق" رأسها إيجابًا، فأكمل هو قائلًا:

- وإنتِ قلتي: (بس يا بابا أنا متأكدة إن لما حضرتك بتقول أي حاجة بيكون ليها سبب وفيها حكمة، بس أقسم بالله أنا ما فهمت حاجة).

ضحكت هي ثم قالت:

- أيوه أكيد فاكرة.

- وأنا قلت لك ساعتها إن إنتِ بالذات هجاوبك بس مش دلوقتي. ودلوقتي بقا جيه الوقت اللي هجاوبك فيه على سؤالك.

نظر لها مبتسمًا وقال:

- إنتِ مش محتاجة حد معاه فلوس، إنتِ محتاجة واحد ماحلتوش إلا قلبه يقدمهولكِ في عز الضيقة، يكون سرك ساعة الوحدة، يلحق دموعك قبل ما تنزل، يكون معاكي وقت حزنك قبل فرحك، يفضل معاكي لحد آخر يوم في عمرك لا يمل ولا يزهق، إنه يكون شايفك طفلته، جاهز يحكي

ليك حواديت ويلعب معاكي. أصل إنتِ ملاك ودي أفضل طريقة للتعامل معاكي.

ابتسمت "عشق" لوالدها واحتضنته وبكت بكاءً ممزوج بالسعادة.

***

في المساء تعالت الزغاريد لتعم القاعه بأكملها. كانت القلوب ترتعش سعادةً لسعادة العروسين. كانت "عشق" ترتدي فستانها الأبيض المزود بالفصوص الفضية حول الخصر، بالإضافة إلى حجابها الذي امتزج فيه لونا الأبيض والفضي، كانت تضع القليل من مساحيق التجميل التي زادتها جمالًا فوق جمالها. كانت تتمنى أن تجد والدتها بجانبها في ذلك اليوم، فدعت الله لها بالرحمه والمغفرة. ذهب كلٌ من "حنين" و"زياد" حتى يقفا بجانب "عشق" إذا احتاجت إلى شيء، صُدِمَ "زياد" حينما رأى "آسر"، لم يتخيل للحظة أنه ذلك الشخص الذي تمنى أن يراه منذ زمن طويل. لم يصدق عينه وأخبر نفسه أنه مرهق اليوم وغير منتبه. سلمت "حنين" على "آسر" وقالت:

- أقدم لك يا آسر، خطيبي زياد.

صُعِقَ الاثنان ولم يصدقا ما سمعته آذانهما، لم يستوعبا ما قالته "حنين" للتو وفجأة ارتميا بأحضان بعضهما البعض، وكأن العالم توقف عند تلك اللحظة. ألهذه الدرجة تصغر المسافات ويلتقي الأحباب مصُادفة؟ هل الدنيا صغيرة إلى هذا الحد؟ ظل "آسر" يحضنه بقوة ولا يريد أن يفارقه أبدًا، فها هو أخوه الذي لم يَرَه منذ تسع سنوات. دمعت أعينهما من شدة

الفرحة، وقال "آسر" من مكانه وهو ما زال ممسكًا بيده وذهب إلى والدته وقال بسعادة:

- زياد أهو يا ماما.

نظرت له والدته في شغف، ومن ثم احتضنته في حنان أمومي، وأطلقت لدموعها العنان، احتضنته باشتياق، حيث أمطرته والدته بمشاعر افتقدها. تراوحت المشاعر بين إحساس الأمومة والبنوة. ابتسم "زياد" في أحضان والدته الحنون، ليغمض عينيه في سعادة.

كان "شريف" وبنتاه غير مصدقين لما يحدث، فهما أخوان وأحبا بنتيه ولم يلتقيا قط سوى في تلك اللحظة، فسبحان من يجمع شمل الأحباب ويُقرب البعيد، ولكنهم سعدوا لسعادتهم. وجاء المأذون وعقد قرانهما.

تعالت الزغاريد مع أصوات ال دي جي بالمكان وقام العروسان بالوقوف على المسرح، وأمسكت "عشق" بالميكروفون وغنت قائلة:

ربنا يخليك لقلبي تبقى طول العمر جنبي

كل ما اسمع حاجة عنك بعرف إني اخترت صح

كان لقانا أحلى صدفة ياللي جنبك ببقى عارفة

إنك انت جيت حياتي تملى كل سنيني فرح

رِبنا يخليك لِقَلْبِي تَبِقا طُول العُمْر جَنْبِيّ

كُلّ ما أسمع حاجَة عَنكِ بعرَف أَنِّي آخْتَرت صَح

كانَ لَقانا أحَلى صُدْفَة ياللي جَنبَكِ ببقا عارِفَة

أنَّكِ أنتَ جيت حَيّاتِي تملَى كُلّ سنيني فرحة

تعالت أصوات التصفيق الحار والصفير. كان "شريف" سعيدًا لسعادة ابنته، فمن كانت آخر العنقود أصبحت اليوم ملكة مُتوَّجة. قَبَّلَ شريف رأسها وأخبر " آسر" أن يضعها في عينه وألَّا يتركها حزينة يومًا ما. أمسك "آسر" بالميكروفون وقال:

- النهارده بمعنى الكلمة أسعد يوم في حياتي. النهارده فرحي لأكتر واحدة وقف بيني وبينها ظروف وتحديات كتير، وكمان أخويا بقى معايا وجنبي، وأمي ضهري وسندي في الدنيا. سعادتي ما تتوصفش بجد. كفاية عمى "شريف" اللي عوضني عن حنان والدي، ولا آنسة "حنين" اللي بعتبرها زي أختي تمامًا. ربنا يديمكوا في حياتي نعمة.

تعالت التصفيق وعلا صوت ال دي جي وبدأ العروسان بالتمايل على أنغام الموسيقا ثم نظر "آسر" إلى "عشق" وهو يقول:

- فاكره لما سألتيني سؤال من فترة وقلت لك وعد مني هجاولك على السؤال ده بس مش دلوقتي عشان تكون في وقتها وكمان يكون ليها طعم؟

أومأت رأسها إيجابًا، فهي تتذكر ذلك اليوم حينما سألته حتى تتأكد من شعورها تجاهه:

- إنت إيه اللي خلاك تمشى ورا سلمى وهي راجعة من إسكندرية؟

نظر إليها مبتسمًا وهو يقول:

- أنا حبيتك من أول لحظة شفتك فيها، حبيتك من أول نظرة، عمري ما صدقت الناس اللي بتقول إن الواحد ممكن يحب من أول نظرة، بس معاكي أنا مش بس صدقت بكده، لا أنا آمنت بالحب ده. حبيتك عشان لاقيتك مختلفة عن الكل، نظرتك مثلًا ولا براءتك وإنتِ بتتكلمي زي العيلة اللي ما كملتش عشر سنين. أنا مشيت ورا سلمى عشان أعرف مكانك وأوصلك، حسيت فجأة إني كنت في حلم جميل وحد خطفه مني، ماكنتش عاوز أحس بشعور العجز والفقد تاني، عملت كل حاجة عشان أعيش في اليوم ده بالذات كل لحظة فيه. ربنا يخليكي ليا يا عشق.

كانت تبكي من شدة سعادتها، لم تصدق نفسها أنه يكن كل ذلك الحب لها ثم قالت:

- ربنا يديمك في حياتي نعمة.

عتلت أصوت الزغاريد مرة أخرى وكان أجمل زفاف بأجمل عروسين وسعد الجميع بهذا اليوم المليء بالمفاجآت.

أخذ "زياد" والدته معه بالمنزل وقال لها:

- فاكرة يا أمي لما كنت بحط راسي على رجلك وتفضلي تتكلمي معايا لحد ما أنام؟

ردت عليه بحنو الأم قائلة:

- فاكرة يا حبيبي.

وبالفعل قام "زياد" بذلك وهو يحن لتلك الأيام التي افتقدها كثيرًا، وعزم على ألَّا يترك والدته مرة أخرى، وأن يبقى بجانبها دائمًا.

(29)

في اليوم التالي ذهب الجميع إلى العروسين ليسلموا عليهما. قامت كلٌ من "حنين" و"عشق" ليحضرا المشروبات، احتضنتها "عشق" وقالت:

- تصدقي إن البيت كان وحش أووي من غيرك.

- ربنا يخليكي يا حنين، ما إنتِ قدامك أسبوع وكام يوم وتتجوزى وتسيبي بابا لوحده.

- مين قال إني هسيبه أنا هخليه يعيش معانا.

وظلتا تحدثان معًا حتى انتهوا من إعداد المشروبات، وعندما جلسوا ظلوا يتحدثون معًا وكانوا سعداء للغاية، وفي النهاية قال زياد بسعادة:

- دة أنا جايبلكوا حته خبر هيطيركوا من الفرحة.

قال الجميع في آن واحد:

- خير في إيه؟!

- أنا جالي إمبارح فرصة عمل في السعودية والعقد أقدر أجدده في أي وقت في شركة كبيرة للأدوية والأدوات الطبية، فبعد الفرح إن شاء الله هاخد حنين ونسافر.

ووجه حديثه لوالدته قائلًا:

- وهاخدك معايا يا أمي وننزل في الإجازات نسلم على آسر.

قالت "حنين" وهي عابسة الوجه:

- عاوزاك ثانية يا زياد، بعد إذنكوا يا جماعة.

علم "شريف" بأنه سيحدث كارثة، فدعا الله لهما بالسعادة. دلفت "حنين" و"زياد" إلى الشرفة وقالت هي بصوتٍ مرعج:

- إنت ليه ما قلتليش الأول قبل ما تقولهم؟

رد عليها بهدوء:

- عادي يا حنين في إيه؟ الخبر لسه عارفة بالليل بعد ما رجعنا من الفرح.

قالت بغيظ:

- وليه بتتكلم بكل ثقة إني هسافر معاك.

قال متسائلًا وهو يرفع أحد حاجبيه:

- عندك شك في كده؟

ردت عليه بتكبر قائلة:

- مش شك ده يقين.

نظرت إليه وأكملت قائلة:

- مين قال إني هوافق على السفر، ما إنت بتشغل هنا وعندك عيادة، والشقة اللي أنا صممتها جاهزة خلاص.

- أيوه يا حنين بس هناك الفرصة أحسن والمرتب أكتر.

قالت محاولة إقناعه:

- طيب ما أنا بشتغل وفلوسي على فلوسك هنعيش حياة كويسة

قال بابتسامة خفيفة:

- بس إنتِ مش متخيله أنا أد إيه كان نفسي في ففرصة زي دي، وكمان جت لحد عندي أكيد مش هسيبها تضيع من إيديا.

قالت بعند:

- تمام إنت مصمم على السفر، وأنا بردو مصممة إني مش هاجي معاك.

- أفسر اللي إنتِ قلتيه دلوقتي بإيه؟

- بالطريقة اللي تعجبك، بس أنا سفر مش هسافر.

قال متسائلًا:

- إديني أسباب تخليكي متمسكة بإنك تقعدي هنا.

– لا عندي كتير وأولهم بابا أكيد مش هسيبه لا هو ولا عشق، تاني حاجة شغلي مش هتخلى عنه، ولا مكتبي اللي جاهز وباقي الدعاية بس وهيتفتح أنا كونت نفسي هنا مش هينفع أرجع لنقطة الصفر وأعيد ده كله تاني.

اقتربت "عشق" من الشرفة لتستمع إليهم علها تنقذ الموقف.

– طيب أنا ممكن أساعدك وتشتغلى شغلانة كويسة.

– وانا مش هتخلى عن حياتي هنا يا زياد.

– لآخر مرة يا حنين هخيرك بيني وبين شغلك.

قالت والعند يملؤها:

– وأنا هختار شغلي ومش هتخلى عنه مهما حصل.

رد عليها بقلة حيلة:

– تمام إفتكري إن إنتِ اللي إختارتي يا حنين.

قالت بقوة حاولت أن تستجمعها:

– يعني إيه؟

قال وهو يختنق لما يقوله والغضب يملأ وجهه:

– يعني كل واحد مننا في حاله وربنا يرزقك بابن الحلال اللي يقدر يسعدك.

كانت واقفة أمامه بثباقا التام وتنظر له، بينما من داخلها تنهار تمامًا، وبدأت نبضات قلبها بالتخبط، ولكنها على الرغم من ذلك قالت بقوة وتسلط وهي تترع الدبلة من يدها:

– تمام إتفضل دبلتك.

تركها "زياد" وذهب إلى غرفة المعيشة حيث تجلس الأسرة، وأخذ والدته وسلم عليهم، ولاحظوا حزنه، فقد نسيَ نصيحة والدها وهو يقول له: (في حبك لا تتعاطف مع عقلها، بل اجعل تعاطفك مع قلبها لأن عقلها ما زال أضعف من أن يفهم عاطفتها). عاد إلى مترله وهو يهم بتحضير نفسه للسفر غدًا هو ووالدته.

ظلت "حنين" تبكي بمرارة، فهي لا تصدق ما حدث للتو، اهتزت مشاعرها لحظات، ونظرت له مليًا قبل أن ينسحب متجهًا للخارج، في صمت قاتل ومشاعر متضاربة. حاولت "حنين" أن تتمالك أعصابها التي أفلتتها الصدمة وحاولت أن قمدئ من روعها وقلبها يخفق بصوت يكاد يسمعه من حولها. تركت العنان لدموعها وتركتها تسيل في انسياب، فما أصعب أن يرفض العقل ما يعشقه القلب! وما أصعب أن يدير الأحبة ظهورهم وقلوهم ما زالت تريد البقاء! دلفت "عشق" إلى الشرفة وقالت لها بانفعال:

– إنتِ إيه مش بتحسي، ليه رافضة إنك تسعدي نفسك وتسعدي اللي حواليكي، ليه بتكسري قلبك بنفسك، وبتكسري حُبِّك واللي حَبِّك. ليه؟! قوليلى ليه؟ إنتِ أيوه أختى الكبيرة اللي محبتش ألفت نظرها

لأي حاجة لمجرد إنك مش هتسمعي لنصيحتي وهتعملي اللي في دماغك. بس أنا أهو بزعقلك وبأعلى صوت عشان تفوقي فوووقي بقا وبطلي غباء، بطلي العند اللي راكبك. مبسوطة لما سابك وبعد عنك؟ أكيد مش مبسوطة بس أنا متأكدة إن ده أكبر درس في حياتك بس يارب تتعلمي.

صمتت لبرهة ونظرت إلى عينيها التي تورمت من كثرة البكاء وقالت بسخرية:

- إنتِ ما شفتيهوش من قبل الفرح وهو كان بيجي كل فترة من وراكي وإنتِ في الشغل عشان يجي يتفق مع بابا إنه يعمل لك مفاجأة بمناسبة يوم ميلادك، ما شفتيش الفرحة اللي في عيونه وهو بيتكلم، بس أنا مش هقول لك غير كل سنة وإنتِ دايمًا لوحدك، وسند وضهر لنفسك، وماعندكيش طاقة تعافري بيها مع حد، كل سنه وإنتِ عنيدة وماشية ورا عقلك، كل سنة وإنتِ ماحدش مهتم بتفاصيلك ولا إنتِ بتهتمي بتفاصيل غيرك.

لم تتحمل "حنين" تلك الإهانة ولأول مرة ترفع يدها، لتصفع شقيقتها التي جاءت على جرحها على وجهها. تحسَّست "عشق" وجنتها التي قد توردت باللون الأحمر إثر صفعتها لها وهي في قمة دهشتها، وامتلأت عيناها بالدموع وقالت بضعف:

- إنتِ دايمًا كده ماتحبيش حد يقولك الحقيقة اللي رافضها عقلك.

وتركتها وهي ما زالت ممسكة بوجهها وتبكي على ردة فعل شقيقتها. كان "شريف" و"آسر" يستمعان لحوارهما. جلس "آسر" بجانب زوجته

وهدّأها، وظل يُمسّد على شعرها بحنو حتى هدأت تمامًا، بينما أخذ "شريف" ابنته وعادا إلى المترل، لم يتحدث معها ولم ينبس ببنت شفة على ما فعلتها بشقيقتها ولا حتى ما حدث مع "زياد"، اكتفى بالصمت، ف "عشق" قالت ما ينبغي أن يُقال منذ زمن طويل. وما إن دلفا إلى المترل ذهبت "حنين" إلى غرفتها وارتمت على فراشها وتركت العنان لدموعها. أشفق "شريف" على حالها، فهي تدمر نفسها بنفسها، ولكنه سيتركها حتى تتعلم الدرس وحدها.

***

(30)

وصل "زياد ووالدته، وكانت إقامتهما في دبي.

هاتفه مدير الشركة ليخبره بأن العمل سيكون من الغد، ووافق على الفور وهَمَّ بتحضير نفسه. كانت والدته حزينة على حاله فقالت له بحنو الأم:

– ما تعندش إنت كمان يا ابني جرب إتكلم معاها يمكن ترجعوا تاني لبعض.

رد عليها بصدق قائلًا:

– مستحيل يا أمي، أنا أيوه حبيتها واستحملتها في حاجات كتير، بس بعد الموقف ده مستحيل أفتكرها ولا حتى أفتكرلها أي حاجة حلوه، هي اللي اختارت إنها تخرج من قلبي وفعلًا خرجت وملهاش مكان عندي. أنا لسه قدامي مستقبل هشتغل ويكون معايا مرتب أحسن من الأول ولو لقيت بنت الحلال أكيد مش هتردد لحظة. أهم حاجة إني نسيتها من وإحنا في المطار، سبت كل حاجة بينا وجيت هنا عشان أعيش حياة جديدة.

- ربنا يريح قلبك يا ابني ويحقق لك كل اللي بتتمناه.

نزل ليجلب بعض المشتريات وقام بإحضار الطعام له ولوالدته، وقاما بمهاتفة "آسر" للاطمئنان عليه.

ظلت تستمر بالهروب لأنها مشمئزة من هذا العالم، تهرب في كتاب أو فيلم أو حتى في النوم، ثم يصفعها الواقع أنها ما زالت مكانها، فظلت في حالة صدمة لا تفعل أي شيء سوى مكوثها في غرفتها وهي تنظر إلى نفسها بالمرآة وتحدث نفسها. تركت كل شيء وراءها، عملها بالشركة ومكتبها الجديد، أهملت كل شيء حتى نفسها. كان حديث شقيقتها لها أشبه بالجمر في صدرها، بمجرد حديثها عليها بتلك الطريقة جعلتها عارية والكل يستطيع أن يكشفها، وكأن "عشق" وضعت كبرياءها على جانب وحدثتها وكأنها شفافة المشاعر يستطيع أي أحد أن يخترقها ويعرف ما بداخلها. يا الله! فالسلام على الباكين خلف الأبواب الموصدة، الذين لم يجدوا يدًا تربت على كتفهم، المتضررين من الوحدة والفراق. حدثت "حنين" نفسها قائلة:

- أيها التعب الثقيل، من أخبرك أني متينة، وأن ظهري جدار لا يُهَد ولا يلين، من أخبرك أن روحي لا يتعكر لونها وأن قلبي لا يُكسَر كجرة طين؟

ولكن حديث "عشق" كان كالصفعة لها، فهي حتى لم تواجه نفسها بهذه الطريقة قط. ظلت ممسكة بيدها وتنظر لها بكُرهٍ، فهي من صفعت أعز الأشخاص على قلبها، فهي ليست أي شخص، إنها توأم روحها "عشق".

ظلت تنحب على ما قد وصلت إليه. كان والدها يمرُّ بالطرقة وسمع صوت بكائها، خفق قلبه من أجلها وتمنى من الله أن تستوعب أنها على خطأ، وتصلح من نفسها وتفكيرها. ولكن "حنين" لا تكرهه، لكنها إن رأته يحترق أمامها وبيدها كأس من الماء، فستشربه. قامت "حنين" لتغسل وجهها، فهي تثق بأنها تستطيع أن تجازف بالتخلي عن كل شيء في حين يصبح المكسب نفسها. عزمت على أن تتحدث مع والدها قليلًا.

***

كانت "عشق" على تواصل دائم مع صديقتها "سلمى". كانوا يتحدثون أكثر من السابق، فوالدها أجرى العملية وتم شفاؤه. وأصبحت هي سعيدة بذلك، فقد أخبرها والدها أنه سيترك الشركة بين يديها وكانت خائفة من شأن ذلك الأمر فأخبرتها "عشق":

- خايفة ليه يا عبيطة، ده كده عمو واثق إن محدش هيرفع الشركة غيرك وسايبلك إدارتها.

- مش عارفة بس حاسه إنه هيبقى كتير عليا دى مسؤلية بردو.

قالت بابتسامة:

- وإنتِ قدها وقدود.

ظلتا تتحدثان معًا حتى تعبتا من كثرة الضحك، وكل منهما تحمل الاشتياق للأخرى.

***

إذن "شريف" للطارق بالدخول، وهو على يقين أنها ستأتيه لتتحدث معه، فلا ملجأ لها إلا له. ظلت تنظر حولها بعبث وجلست على الشيزلونج وترددت كثيرًا قبل أن تسأل والدها وهي تنظر في نقطه الفراغ أمامها قائلة:

- هو أسلوب حياتي غلط يا بابا؟

صمتت لبرهة ثم أكملت قائلة:

- أنا لما زياد خيرني بينه وبين شغلي، اخترت شغلي عارف ليه؟

عارف أما ممثلة مثلًا تعتزل التمثيل في عز ما بدأت تشتهر؟! أنا بقا لو كنت سافرت معاه السعودية هكون بدمر نفسي بنفسي. إنتوا كلكوا شايفني قوية وقلبي جامد بس الوجع اللي فيا يهد جبال.

أخرجها شريف من بكائها قائلًا:

- مديتي إيدك على أختك ليه يا حنين؟

ردت عليه بنحيب قائلة:

- عارف يا بابا لما تلاقي حد شايف كل حاجة جواك مشاعرك وأحاسيسك وتحاول تخبيها بأقصى جهد عن الناس كلها حتى نفسك، وفجأة تلاقي حد بيعايرك بيهم؟! حسيت إنها كشفتني قدام نفسي، حسيت إني حنين الضعيفة الكل شايفها وفاهمها.

- مش عذر بردو.

نظر لها وأكمل قائلًا:

- في الأول هتفتكري إنك خسرتي حاجة كبيرة ماكنتيش هتقدري تعيشي من غيرها، بس لما تهدى وتفوقي، هتعرفي إن حياتك عمرها ما كانت هتتصلح إلا لو خسرتي الحاجة دي.

قالت بأسى:

- لا بس أنا خسرت كتير..خسرت زياد اللي رسمت حياتي ومستقبلي معاه، خسرته للأبد يا بابا مستحيل يرجع. عارف يا بابا! القلب لما بيحن العقل بيتشل، وأنا عقلى إتشل خلاص. مشكلة التفكير بالعقل إن أه كل حاجة بتبقى مظبوطة جدًّا وصح بس مافيهاش روح.

قال والدها بتنهيدة لما تحمله "حنين" في فؤادها:

- يااه يا حنين أنا كنت فاكر إنه واحد عادي وهتنسيه مع الوقت بس انتى طلعتى بتحبيه بجد.

أنا مش هقول لك غير حاجة واحدة بس.

بطلي تجري ورا الحاجات الغلط عشان تدي فرصة للحاجات الصح إنها تلحقك، وماتزعليش على الحاجة اللي انتهت، إفرحي إن ده حصل دلوقتي مش بعدين.

أومأت برأسها، وهمت بالمكوث في غرفتها مرة أخرى وهي تفكر في حديث والدها. فهكذا هي الحياة نقضي النصف الأول من عمرنا في جمع الذكريات، ونضيع النصف الآخر محاولة نسيانها، فقلوبنا أوطان نحمل بها

أماني خُذلت وأحلامًا شُيعت وعابرين لم يبقَ لنا منهم إلا أنين اشتياق. ولكنها ستحمل بروحها ذكريات جميلة، وبقلوبها نبضات لواقع رائع ولشخص شغل تفكيرها وأسعدها بحبه لها رغم المسافات وقلة الحديث. فمن قسوة الحب وعجائبه أنهم يستطيعون سرقة قلوبنا من داخل صدورنا ويتركوننا أحياء بلا قلب، فهنيئًا لمن اشتاق لشخص فوجده. فحقًا إن مع العشق هجرًا، إن مع العشق هجرًا.

***

(31)

مرّت الأيام والأسابيع رتيبة يشبه بعضها بعضًا.. كانت "حنين" ما زالت على حالتها، تكابر في إخفاء شعورها ولكنها تحترق من الداخل. ترددت كثيرًا حتى تذهب إلى شقيقتها وتعتذر لها ولكنها في أخر لحظة تتراجع. اشتُهر مكتبها وأصبح العمل لديها كثيرًا. بينما كانت "سلمى" في قمة سعادتها، هاتفت "حنين" و"عشق" لتشاركهم سعادتها، لأنها ستتزوج، سعدت الفتاتان جدًّا، وتمنوا أن يلتقوا قريبًا. كانت "عشق" حزينة على ما قد وصلت إليه شقيقتها. وها هي قد انتهت من امتحاناتها وطلبت من "آسر" أن يتنزها معًا احتفالًا بذلك اليوم، أخبرها أن تنتظره ساعة حتى ينتهي من العمل، فقررت هي أن تجلس في الكافيه لتحتسي كوبًا من الشاي، وتعود إلى المنزل مسرعة حتى تستعد للنزول مع زوجها.

***

كانت "حنين" قد انتهت من عملها واستقلت سيارتها للعودة إلى المنزل. لفت انتباهها دخول شقيقتها الكافيه المقرب من منزلهم. اصطفت

سيارتها، وقررت أنها فرصه لأن تتحدث معها وتعتذر لها عما صدر منها. كانت "حنين" متوترة للغاية فهي لم تعتد أن تعتذر لأحد، لأن في ظنّها أن الاعتذار يقلل من كرامة الإنسان، ولكن ما باليد حيلة، فهي تريد شقيقتها بجانبها. وقفت أمام الطاولة وقالت بتردد:

- وحشتيني أووي.

تلاقت الأعين وهي تعلن خضوعها، تعلن حبها واشتياقها، تعانقت الشقيقتان من خلال أعينهما. امتلأت عيني "عشق" بالدموع التي أبت أن تترك لهم العنان، فهي لم تتخيل لوهلة أن تفعل بها شقيقتها ما فعلته، ولا يمكن لحديث أن يشفع لها. قالت "عشق" بنبرة تحمل القسوة وانهارت بصراخ قائلة:

- إبعدي عني مش عاوزة أشوفك خالص، إنتِ إيه جايه تكملي إهانتك ليا!!

وقامت سريعًا من فوق مقعدها وأخذت حقيبتها، وذهبت سريعًا للخارج وهي لا ترى أمامها بسبب الدموع التي ملأت عينيها.

***

كانت "سلمى" سعيدة جدًّا لذلك الخبر الذي علمته من زوجها منذ دقائق، فقررت أن تشارك "حنين" و"عشق" تلك اللحظة، فقامت بمهاتفتهما، وكانت "حنين"، التي كانت تقود سيارتها للعودة إلى المنزل

بعدما خذلتها شقيقتها. سلمت عليها "سلمى" وسألتها عن أحوالها، وأحوال العمل، ثم قالت:

- أنا عندي ليكي خبر بمليون جنيه.

ردت عليها بشغفٍ:

- قولي ده أنا نفسي أتبسط أووي.

- لا من حيث الانبساط فهنتبسط كلنا، أنا نازلة مصر بكره.

ردت عليها بسعادة:

- عاااااااا لا بجد أنا مش مصدقة نفسي، أخيرًا هشوفك؟

- طيب حيث كده بقا هاتي عنوان مكتبك عشان نزورك فيه، أنا نفسي أشوفه أووي.

ثم قالت بفخر:

- مكتب الأستاذة حنين شريف الشرقاوي.

ضحكت "حنين" على أسلوبها وأعطتها العنوان، وأخبرتها أنها في انتظارها.

عاد "آسر" إلى منزله ووضع سلسلة مفاتيحه على الطاولة ونادى

"عشق" حتى يخبرها أنه قام بحجز تذكرتين للفيلم الذي تتمنى أن تراه بالسينيما. تعجب أنها لم تُجِب، فقام بفحص أجزاء المنزل وهو يناديها باسمها، ولكن ما من مجيب، فعقد حاجبيه متعجبًا لأنها من المفترض أن

تكون بالمترل منذ ساعة. قرر أن يبدل ملابسه ويسترخي قليلًا حتى تأتي، فمن المفترض أنها تشتري شيئًا وستأتي على الفور.

***

كانت "حنين" سعيدة للغاية لأنها ستلتقي بصديقه عمرها غدًا. قررت أن تترل للتسوق قليلًا وتجلب معها بعض الهداية بمناسبة زواج "سلمى". قررت أيضًا أن تشتري بعض الملابس لها، حتى ترتدي واحد منهم بالغد، وبالفعل ذهبت للتسوق، شَدَّ انتباهها فتاة تسير وبجانبها رجل وسيم من المفترض أنه زوجها، كانوا يبتسمون لبعضهم البعض، رأت "حنين" السعادة في أعينهم، تمنت لو ما حدث ما حدث مع "زياد"، لكانت الآن زوجته ويعيشان في سعادة. حمدت الله على كل شيء، واشترت ما جاءت من أجله بعقل مشغول بالتفكير في الماضي، عيناها كالسحب الممتلئة بالمياه وتريد الهطول في التو. حاولت أن تخرجه من تفكيرها بكل طرق وبالفعل قد نجحت، ولكن موقف واحد يهدم كل ما بنته. يا الله! كم هو أمر شاق!

***

في المساء كان الهدوء يعمُّ أرجاء المكان. استيقظ "آسر" من نومه ومَدَّ يده ليفتح النور. قام ليغسل وجهه حتى يفيق، وخرج من الغرفة وهو يضيء الأنوار بالخارج. ظل ينادي "عشق" ولكنه تفاجأ بعدم وجودها، خفق قلبه بشدة، فهي منذ الصباح ولم تأتِ. أمسك بهاتفه ليهاتفها، ولكن هاتفها مغلق، فقال بعصبية:

- يووووووه يا عشق.. مليون مره أقول لك ماتقفليش الموبايل.

بدل ملابسه سريعًا وذهب إلى منزل "شريف"، فمن الممكن أن تكون ذهبت لتتحدث مع شقيقتها ويصلحا فيما بينهما. دَقَّ جرس الباب، وفتحت "حنين" رحبت به بشدة وتعجبت من وجوده في وقت متأخر من الليل، قال بشغفٍ:

- هي عشق هنا؟!

نظر "شريف" الذي جاء ليرى من الزائر وقال متسائلًا بقلق:

- لا مش هنا، هو إنتوا إتخنقتوا ولا إيه؟!

صفع "آسر" كف يده بكف يده الأخرى، ثم قال بعصبية:

- آمال راحت فين بس؟!

نظر إلى "حنين" وقال:

- معاكي أرقام صحابها نكلمهم؟

- أيوه في الأجيندة.

ذهبوا جميعًا والتفوا حول "حنين" وهي تهاتف أصدقاءها، لتسألهم عن "عشق" إذا كانت معهم، كان الأمل بداخلهم أن يسمعوا صوت "حنين" وهي تقول: (أيوه موجوده مع..)، ولكن في بعض الأحيان يرحل الأمل تاركًا وراءه الكثير من الخيبات في نفوسنا عله يشرق مرة أخرى بداخل أرواحنا. باءت محاولاتهم بالفشل. قال "شريف" بعصبية:

- يعني إيه اللي بيحصل ده الساعه داخله على واحدة وعشق لسه ماظهرتش.

قال "آسر" وهو يضع رأسه بين يديه:

- كلمتني بعد ما خلصت الامتحان وقالت لي إنها مروحة، مش عارف بس إيه اللي حصل أنا قلقان عليها أووي.

كانت "حنين" تستمع إليهم وهي تشعر بالذنب، ارتعش جسدها وخافت أن يصيبها مكروه، فهي آخر من جلس معها قبل أن تعود إلى المنزل، ترى أين إنتِ يا عشق؟!

***

في مكان مظلم لا يوجد به أي ضوء سوى ضوء القمر الذي يتسلل من النافذة. بدأت "عشق" تفتح عينيها، لتجد المكان حولها مظلم وغير مألوف لها، قامت مفزوعة لتجد نفسها مقيدة اليدين بحبال، ارتعد قلبها من الخوف، ظلت تتذكر أي شيء قبل أن تأتي إلى هذا المكان المظلم الذي لا يوجد به أي صوت غير صوت نبح الكلاب وصوت الخفافيش المرعب.

فلاش باك:

كانت "عشق" تقف حتى تأتي سيارة أجرة، ولكنها وجدت سيارة أخرى تمرُّ سريعًا باتجاهها، وفجأة أخذوها عنوة وكمموا فمها حتى لا يسمع أحد صراخها، ووضعوا منديلًا على أنفها، ولم تشعر بعدها بأي شيء حولها وانطلقوا إلى مقصدهم.

هطلت الدموع من أعينها وانكمشت على نفسها وظلت ترتعش خوفًا، حاولت أن تزيل الحبال المربوطة على يدها، ولكنها مربوطة بإحكام، ظلت تصرخ حتى ينجدها أحد من ذلك المكان المرعب، ولكن لسوء حظها ظهر رجلان يرتديان ملابس سوداء، يبدو على شكلهما الإجرام، بأصواتهما الغليظة، وأكتافهما العريضة، وشاربيهما الغزيرين، وأعينهما الحادة كالصقر مفحمة باللون الأسود الحالك.

ارتعدت "عشق" فور رؤيتهما وقالت بصوت خافت متقطع:

- أنا فين؟ جايبني هنا ليه؟

رد عليها أحدهما بصوته الغليظ:

- إنتِ في مكان النملة نفسها ماتعرفش توصله، وبالنسة لإنك جيتي هنا ليه فهتعرفيها بكره من كبيرنا، إحنا مهمتنا كانت خطفك وبس.

لم تصدق "عشق" ما سمعته أُذُناها وظلت تصرخ حتى ينجدها أحد، فقال أحدهما بسخرية:

- صرخي براحتك إحنا في الصحرا، محدش هيسمع صوتك.

ثم ضحك بِشَرٍ هو وصديقه وتركاها تبكي بكاء مريرًا.

ظلت تدعو الله أن ينقذها مما هو قادم لها. حاولت أن تزيل الحبل من على يدها، ونظرت للنافذة، وسوف تفعل ما دار بعقلها، ولكن عندما ينام الأحمقان اللذان يقفان بالخارج، فتبًّا لهما!

اتفق كلٌّ من "آسر" و"شريف" و"حنين" أن يسألوا عنها في المستشفيات والأقسام. وقاموا بالبحث عنها في كل مكان، كانت "حنين" تشعر بالذنب فهي السبب في كل ما قد وصلوا إليه الآن، ظلت تسب نفسها آلاف المرات على أنها حدثتها بالكافيه، ظلت تبكي وهي تقود سيارته مع والدها، ليبحثا عنها، فهي تحبها جدًا ليس لأنها مجرد شقيقتها، بل هي ابنتها التي لم تلدها، التي قامت بتربيتها ومشاركتها في كل شيء. بينما كان "شريف" يدعو الله أن يحفظ ابنته من كل شر، فهي فتاته المُدلّلة، كيف لها أن تبعد عنه، ظلوا يدعون الله ألّا يصيبها بمكروه. باءت محاولاتهم في الكشف عنها بالفشل. عادوا إلى منزلهم في الخامسه فجرًا. دخل "آسر" المنزل غير مصدق أن زوجته قد اختفت..ذهب إلى غرفته وارتمى على الفراش وهو ممسك بصورة "عشق" ويبكي كالطفل الذي يبحث عن أمه ظل يحدث صورتها قائلًا:

– يا ترى إنتِ فين يا عشق، يا ترى حصل لك إيه، ليه السعادة مش بتكمل أبدًا، ده إنتِ كنتي فرحانة إنك خلصتي امتحانات، فرحتك ما إكتمالتش، كان نفسي أخرجك وأبسطك اليوم دة. يا رب دلني هي فين يا رب، ده أنا مليش غيرها في الدنيا دي بعد أمي وأخويا، هي الوحيدة اللي بتستقبلني بحنيه الأم أول ما أكون مخنوق متضايق، بتكون طفلتي وبلعب معاها.

ثم قال بتنهيدة وهو يغمض عينيه من شدة التعب واحتياجه للنوم:

– ياااااااااااااااااااااااااارب.

مع صباح يوم جديد، ذهبت "حنين" للعمل بمكتبها الخاص. كانت حزينة لأنهم لم يعثروا على شقيقتها. ظلت تعاتب نفسها، فهي تعلم أنها السبب في ذلك الاختفاء. فكم هو مؤلم ذلك الشعور وهو الإحساس بالذنب. كانت تعمل على حاسوبها النقال وترتدي نظارتها الطبية، كانت تطرد كل الأفكار من عقلها حتى تنتبه لعملها وتسبح بداخله. جاءها اتصال من السكرتيرة الخاصة بمكتبها وأخبرتها أن بوجود فتاة اسمها سلمى، ارتسمت البسمة على وجهها وقالت بصدر رحب:

- دخليها طبعًا.

ارتسمت السعادة على وجهها ونزعت نظارتها الطبية وقامت حتى تستقبل صديقتها. دلفت "سلمى" وما إن رأت الفتاتان بعضهما البعض حتى قفزت قلوبهما من السعادة. ظلتا تعانقان بعضهما البعض بقوة دون ملل، فما أجمل ذلك العناق الذي يمتلئ بالحب والشوق، عناق الصديقات بعد فراق طويل دام لأشهر.

جلست الفتاتان تتحدثان معًا بسعادة، ثم قالت "حنين":

- هو إنتِ نزلتي مصر لوحدك ولا إيه؟

ردت عليها بابتسامة:

- لا نزلت أنا وجوزي ده بره بيجيب الهدايا من العربية زمانه جاي.

وما إن انتهت من جملتها حتى دخل زوجها وهو يحمل الهدايا. وقفت "حنين" من أثر صدمتها ثم قالت بنبرة تحمل الاشتياق والعتاب والصدمة:

- زياد! مش معقول.

(32)

استيقظ "آسر" من نومه وهو متعب الجسد، نظر بجانبه ولكنه لم يرى "عشق"، ظل دقيقتين حتى استجمع الأحداث التي حدثت بالأمس. سالت دمعة من عينيه أثر تذكر ذلك. زفر بحرارة تملأ صدره، وقام من فراشه ووضع رأسه أسفل صنبور المياه ليطفئ ما فيها من نار إثر تلك الأفكار التي تأتي له. قرر أن يذهب إلى القسم حتى يبلغ عن اختفاء زوجته.

في القسم كان "آسر" يجلس مع الشرطي بالمكتب وسأله عدة أسئلة منها:

- مراتك اختفت إمتى؟ الساعة كام تقريبًا؟

- الساعه 3 أول ما رجعت من الشغل مالاقيتهاش.

- ليها أعداء؟

- لا خالص، الناس كلها بتحبها.

- معاك صوره ليها ؟

قال وهو يخرج صورتها من محفظته التي كان يحافظ على وجودها معه بأي مكان:

- اتفضل.

- تمام إحنا هنقوم باللازم وهنكلمك أول ما نلاقيها إن شاء الله، وياريت تسيب رقم تليفونك بره.

- حاضر.

خرج من المكتب وهو يشعر بالأمل، وأنهم سيعثرون عليها، وستكون معه وبجانبه مرة أخرى، ولن يتركها أبدًا. اتجه بسيارته نحو منزل "شريف".

***

وما إن انتهت "سلمى" من جملتها حتى دخل زوجها وهو يحمل الهدايا. وقفت "حنين" من أثر صدمتها ثم قالت بنبرة تحمل الاشتياق والعتاب والصدمة:

- زياد! مش معقول.

انتبه هو أيضًا لمصدر الصوت ورفع رأسه حتى يراها. لم يصدق نفسه، وبدون قصد منه وقع كل ما يحمله بيده من هدايا، وظل ينظر لها وهو غير مصدق نفسه. تعجبت "سلمى" منهم فأخرجتهم من شرودهم قائلة:

- هو إنتوا تعرفوا بعض؟!

لم تجد ردًّا فقالت "حنين" باستهزاء وهي تحاول أن تلملم شتات نفسها الذي تبعثر فور رؤيته:

- جاي هنا ليه يا أستاذ زياد؟ شكلك عاوز تتهزأ تاني!

نظر لها بكراهية:

- بكرهك وبكره اليوم اللي شفتك فيه.

نظرت "حنين" لصديقتها بكراهية وقالت بغِلٍّ:

- ما كنتش أعرف إنك حقوده للدرجة دي ومستغله الظروف.

ثم صاحت فيهم بصوتٍ عالٍ:

- إطلعوا بره مش عاوزه أشوف وشكوا، معرفة زبالة.

لم تصدق "سلمى" ما سمعته، فهو كلام لا يعقل، فقالت بنبرة حائرة:

- هو في إيه يا حنين، أنا مش فاهمة حاجة! بس كل اللي أنا أعرفه إني صاحبتك حبيبتك نسيتي ولا إيه؟!

لم تتحمل "حنين" أي شئ ولا حتى ما تسمعه، فقد طفح بها الكيل. أمسكت بسماعة الهاتف وطلبت الأمن حتى يأتوا على الفور، وصاحت فيهم قائلة:

- إرمولي الإتنين دول بره ومايعتبوش هنا تاني.

لم يتحمل "زياد" تلك الإهانة، فهم بالانقضاض عليها حتى تكف عن التكبر على الجميع، ولكن رجال الأمن كانوا أسرع منه، وأخذوه عنوة

للخارج. كانت "حنين" في حاله يرثى لها، لم تستطع كبح لجام عبراتها التي انهمرت منها بشدة. ارتمت على مقعدها وهي تبكي بكاءً مريرًا، بكاءً يخفق القلوب من شدته.

ها هي قد خسرت كل شيء.. كل شيء بالمعنى الحرفي، فأحيانًا نُجبر على قطع العلاقات حتى وإن كانت جزءاً من حياتنا. لقد خسرت حبها الوحيد، الذي جاهدت بكل طاقتها أن تنساه، وبصدفة واحدة أعاد لها كل شيء. نعم، يؤلمها رحيله ولكنها لم تعد تنتظره، يقتلها رؤيته مع غيرها ولكن شائت الظروف.

حتى صديقتها التي تعشقها طردها من المكتب بدون أن تعلم منها أي شيء، وشقيقتها التي لا تعرف عنها أي شيء، وحتى لو وجدوها، فهي لن تطيق رؤيتها لما فعلته لها. لقد أيقنت أنها خسرت الكل بسبب كبريائها ولم يعد لديها شيء لتُبقي عليه سوى والدها. فلا تسألوا الخاسر عن أي شيء، لأن كل غالٍ وثمين قد ضاع من بين يديه، ولن يهمه فراق أحد بعد ذلك، فقد خسرت جميع أحبتها. ولكنها هي الكبرياء بذاته، هي الجدار العازل الذي يذيق طعم الألم حين يُصطدم به، فهي جبانة في خسارة أحبتها وقد احتارت بين عقلها القوي، وقلبها الهش الذي يعود لنقطة الصفر عند رؤية أحبتها.

***

استيقظت على صوت أجش من الخارج وهو يقول:

- إحنا هنعمل إيه في البلوه اللي جوه دي؟

- نهايتها الموت طبعًا بس مش على أدينا.

خفق قلب "عشق" على أثر سماعها لذلك الجملة (نهايتها الموت طبعًا بس مش على أدينا). تذكرت محاولتها في الهرب التي فشلت بسبب ذلك المتعجرف الذي يجلس بالخارج، والذي ما إن رآها تنوى بالهرب أعطاها مخدرًا حتى تغيب عن الوعي وكبلها مرة أخرى. نزلت دمعة من عينيها أبت ألّا تفارقها. فُزِعَت بسبب اقتحام أحد الرجال داخل الغرفة وصفعها على وجهها وهو يقول:

- بقى كنتي عاوزة تهربي عشان أنا أتبهدل.

قالت ببكاء على أثر صفعته لها:

- إبعد عنى يا متخلف يا حقير.

ركلها في بطنها وقال:

- إنتِ تخرسي خالص.

في تلك اللحظة فُتِحَ الباب على مصراعيه وقال بغضب:

- إنت يا متخلف.

نظر له برعب وقال:

- آسف يا بيه هي اللي استفزتني

- اللي هيمد إيده عليها هكسرهاله مفهوووم!

نظرت "عشق" لمصدر الصوت وقالت غير مصدقة:

- سيف!

(33)

كان "آسر" قد وصل إلى منزل "شريف" وأخبره أن قام بالإبلاغ في القسم بسبب اختفاء زوجته. حزن "شريف" لأن ابنته لم تظهر حتى الآن. عادت "حنين" من عملها وهي منهكة وقد تدمرت كليًا بسبب ما حدث. قامت بإعداد أكوب من القهوة لهم وجلست معهم. في أثناء حديثهم عمّا سيفعلونه حتى يتم العثور على "عشق"، رنّ هاتف "آسر" للمرة الخامسة ولكنه لا يُجيب، فقالت له "حنين":

- رد طيب يمكن حاجة مهمة.

- لا أنا مخنوق وماليش نفس أرد على حد.

- طيب يمكن يكون الظابط أو حاجة.

أمسك هاتفه بشغفٍ ورد على المتصل وقبل أن يجيب، سمع صوتًا يألفه بل إنه يعشقه ويحفظه، سمع صوت "عشق" وهي تقول ببكاء:

- آسر..إوعي تسيبني انا ..

وفجأة أُغلِقَ الاتصال، حاول بكل شغفٍ أن يتصل بذلك الرقم ولكن يسمع الجملة المعتادة (الهاتف الذي طلبته مغلق أو غير متاح)، رمى هاتفه على الطاولة بعصبية ثم قال:

- عشق.

قال "شريف" بشغفٍ:

- الحمد لله إنها بخير.. إحنا لازم نبلغ فى القسم دلوقتي ونسيبلهم الرقم اللي إتكلموا منه.

أضافت "حنين" قائلة بخوف:

- في أسرع وقت يالا بينا دلوقتي، أنا خايفة يحصل لها حاجة

لم يرد "آسر" حيث أعلن هاتفه بوصول رسالة جديدة، فتحها وكان مضمونها كالآتي:

"لو عاوز عشق أول حاجة ما تبلغش البوليس، تاني حاجة تقابلني النهارده الساعة 12 بالليل في "..." على الطريق الصحراوي ومعاك مليون جنيه. بأكد عليك تكون لوحدك وإلا هخليك تقول على عشق يا رحمن يا رحيم.

حبيبك سيف"

ظل دقيقتين حتى يتذكر صاحب ذلك الاسم، وعندما تذكّر قبض يديه واستشاط غضبًا ليس من تلك الرسالة ولكن من "سيف" الذي صمم أن ينتقم منه. أخبر "شريف" و"حنين" بمضمون الرسالة، فقلقوا على "عشق" من أن يصيبها مكروه. ذهبوا جميعًا إلى قسم الشرطة وأخبروا الضابط بما حدث وبتلك الرسالة، ووعدوه أن يقوموا باللازم.

***

في الثانية عشرة إلا خمس دقائق كان "آسر" قد وصل بسيارته إلى المكان المنشود ومعه حقيبة – من المفترض أنه وضع بها المال– كان خائفًا جدًّا على زوجته. كانت "حنين" ووالدها يتبعانه بالسيارة حتى يساعداه إذا تطلب الأمر، ولكن "آسر" لا يعلم بوجودهما. ترجل من السيارة وعزم على أن ينجز كل هذا الهراء. وقف أمام البناية التي تُوحي بأنها مهجورة وتتكون من طابقين، كاد أن يطرق الباب ولكن وجده مفتوحًا، دلف إلى الداخل وهو يقول:

– عشق.

***

كانت "عشق" غير مصدقة أن يخرج من "سيف" كل هذا، لما يفعل كل هذا معها؟ ولِمَ هي خصيصى دون أي فتاة أخرى بالجامعة؟ كان يجلس أمامها على مقعد يبدو مُتربًا، بينما هي تجلس على الأرض. نظرت له بكراهية ثم قالت:

- تعرف إنك أحقر إنسان شفته في حياتي، بجد إنت إزاي مستحمل نفسك كده وإنت كلك حقد وأنانية. إوعى تقول لي إنك بتعمل كده ردًا لتهزيقه ليك وضربك جوا الكلية قصاد الكل؟

رد عليها بنفاد صبر:

- تعرفي تخرسي.

قالت بعناد:

- لا أنا هتكلم لحد ما تستوعب إنك إنسان متخلف وحقير.

لم يتحمل "سيف" تلك الإهانات منها فانهال عليها بالضرب وكانت تقاومه. فاستخدمت أظفارها الطويلة في خدشه وخاصة وجهه حتى جعلت الدماء تسيل منه، ظلت تصرخ بأعلى صوت لعل أحدًا ينجدها من ذلك الإنسان المريض نفسيًّا. سمع "آسر" صوت صُراخها، فصعد الأدراج سريعًا وظل يهرول في ممر طويلة شبه مظلم حتى وصل إلى الغرفة التي يصدر منها صراخ "عشق". دلف إلى الغرفة ووجد ذلك الإنسان المريض عقلياً وهو ينهال عليها بالضربات، خفق قلبه من أجلها وجُن جُنونه حينما رآها هكذا، كان يود أن يذهب إليها ويطمئنّ عليها ولكنه قرر أن ينتقم أولًا، فأمسك بالزهرية وضربه بها فوق رأسه. التفت "سيف" إليه قائلًا وهو يخرج شيئًا من جيبه:

- نهايتك على إيدي.

ثم أطلق الرصاصة على "آسر" فارتمى على الأرض، وقد تلطخ قميصه الأبيض بالدماء. لم تصدق "عشق" كل ما رأته وكأنها في فيلم سينمائي،

فوقعت مغشيًا عليها. أمَنَ رجال الشرطه ذلك المبنى . فسمع "سيف" صوت عربات الشرطة، فخفق قلبه ونزل سريعًا من الباب الخلفي بالبناية واستقل سيارته على عجلة، عَلِمَ رجال الشرطة أنه هرب بسيارته، فأسرعوا للحاق به، فقد كان يسير بسرعة جنونية، ظلوا يسيرون وراءه مدة ربع ساعة ولم يستطيعوا اللحاق به حتى وجدوا السيارة من بعيد انقلبت عدة مرات واشتعلت النيران فمن المؤكد أنه كان يحاول تفادى عربه النقل المقبله بسرعه تجاهه ولم يحالفه الحظ فلَقَى مصيرهُ الحتمِي. هاتفوا الإسعاف وجاؤوا وحملوه على الترولي و عِندَ ذهابهم للمشفى أخبرهم الطبيب أنه قد تُوفي، فالجزاء من جنس العمل.

***

تحامل "آسر" آلامه وقام بصعوبة حتى يرى "عشق" ويطمئنٌ عليها. متناسيًا ألمه. حاول أن يفيقها بكل الطرق ولكن بدون فائدة، ارتعد قلبه خوفًا عليها، وحملها إلى سيارته كان يتألم في كل خطوه يخطها. رأته "حنين" من بعيد هي ووالدها فأخذوهما للمقعد الخلفي، وانطلقت بهم إلى المشفى. كانت "حنين" ووالدها قد بلغهما الخوف حينما رأوه يحمل "عشق" وهي فاقدة لوعيها، ظلوا جميعًا يدعون الله أن تكون بخير هي و"آسر".

***

في المشفى كانوا جالسين منتظرين خروج الطبيب من الغرفة ليُطَمْئِنهم على حالة "عشق". كاد "شريف" يقول شيئًا ولكن خرج الطبيب من الغرفة، فذهبوا إليه في شغفٍ قائلين:

- طمنا يا دكتور.

- الحمد لله إحنا أنقذنا الجنين، والمدام كويسة محتاجة بس رعاية كويسة، هي بس دخلت في حالة إغماء، ودلوقتي هي كويسة تقدروا تطمنوا عليها.

لم يصدقوا ما سمعوه وخاصة "شريف" قال بسعادة غامرة:

- الحمد لله يا رب الحمد لله.

وذهب مسرعًا إلى الغرفة حتى يطمئنّ عليها ويسعدها بذلك الخبر. وجدها محلقة بسقف الغرفة وبجانبها المحاليل الموصلة بيدها حتى تعطيها طاقة وتغذيه التي افتقدها في الأيام السابقة. بينما أخبرهم الطبيب أن "آسر" قد تم إنقاذه وهذا بفضل الله، حيث اخترقت الرصاصة ذراعه الأيسر. فتلهفت "عشق" بسماعها لذلك الخبر، وانتقل هو إلى غرفة خاصة حيث إنه ما زال تحت تأثير المخدر ولم يُفق بعد. دلف "شريف" إلى الغرفة تاركًا "حنين" التي رفضت أن تدخل حتى لا تراها شقيقتها وتُدخِل الحزن على قلبها مره اخرى ، فاكتفت بالاطمئنان عليها عن طريق الطبيب، كانت "عشق" تهذى بكلمات غير مفهومه وسريعاً ما تذكرت مشهد زوجها الملطخ بالدماء فإنتفضت سريعاً وسألت والدها عنه.

أخبرها أنه بخير الآن، ولكنه مازال تحت تأثير المخدر وعندما يفيق، سيخبره بذلك الخبر الذي سيسعده حقاً ويزيل بعض الامه وهو الضيف الذى سيملأ عليهم الكون بهجه بعد تسعه أشهر، فذاك هو الخبر الذى ما

إن علمته عشق أدخل على روحها السعاده الحقيقيه وظلت تحمد الله كثيراً.

كانت "حنين" تدعو الله أن يحنن قلب شقيقتها وتسامحها. نزلت دمعة من عينيها مسحتها سريعًا حتى لا يقال إنها تحقد على شقيقتها ، بل هي تتمنى لها الخير كله، هي فقط تراها سعيدة وتمنت أن تكون مثلها.

***

في مطعم فخم يطل على النيل.. كانت "سلمى" جالسة تستمع إلى زوجها وهو يروى عليها قصته هو و"حنين". لم تصدق ما سمعته، إلى الآن لا تستوعب أنها قد خسرت صديقتها إلى الأبد. ظلت تعاتب "زياد" قائلة:

- إنت ليه ما قلتليش قبل كده؟ ليه ماحكتليش عنها قبل كده، ليه خلتني أخسر صاحبتي؟

رد عليها محاولًا تهدئتها:

- اللي زي حنين محتاجة تبقى لنفسها ومع نفسها، هي أنانية مش بتحب غير نفسها وبس، بتكره إنها تسعد غيرها، أهم حاجة إنها تسعد نفسها مش شرط بشخص.. لا بنفسها.

كانت "سلمى" تودُّ أن تذهب لتوضح لها الأمر وأنها كانت لا تعلم أي شيء، ولكن منعها "زياد" لأنها كالجبل مهما نصطدم به سيظل صامدًا كما هو لم ولن يتغير.

***

في المساء كانت "عشق" جالسة بالغرفة وقد ملت من الجلوس. كانت تنهض من على فراشها رغم تحذير الطبيب لها أن تريح نفسها ولا تفعل أي مجهود، رأتها شقيقتها وقامت سريعًا حتى تسندها وهي تقول:

- هو مش الدكتور منعك من الحركة الفترة دي.

نظرت لها "عشق" في عينيها وأخذت يدها منها عنوة وقالت بكراهية:

- إبعدي عني ما تلمسينيش.

نكست "حنين" رأسها في الأرض وخرجت وهي تجرُّ أذيال الخيبة وراءها، فلا يوجد أمل بأن تسامحها شقيقتها. فكيف نعود بالزمن حتى نصلح أخطاء ارتكبناها ونندم عليها الآن، ولكن لا مفر مما حدث، علينا فقط أن نفكر جيدًا في كل ما هو قادم حتى نتعامل مع المواقف بحكمة.

كانت "عشق" حزينة لأنها تعامل شقيقتها بكل هذه القسوة، ولكن وراء قسوتها حبًا كبيرًا، فهي تريد أن ترتمي بحضنها وتخبرها كم تعشقها، ولكن لا بد أن تكسر الكبرياء بداخلها، لا بد أن تعلمها درسًا لن تنساه.

***

(33)

مرت الأيام وقد خرج كلٌّ من "عشق" و"آسر" من المشفى بصحة جيدة، وكان "آسر" يساعدها بأعمال المترل حتى لا تُجهد نفسها. كانت "حنين" تعمل بكل وسعها وطاقتها حتى اشتُهر مكتبها وأصبح معروفًا في المكان، يأتيها العملاء من جميع أنحاء البلاد حتى تصمم لهم ما يريدونه، كان وقتها كله منشغلًا بالعمل حتى أنها لا ترى والدها سوى في الصباح الباكر، كان هو أيضًا يشغل وقته بالقراءة، حتى تعب فجأة وذهبت به "حنين" إلى المشفى ليخبرها الطبيب أنه بحاجة إلى إجراء عملية على الفور، وأن حالته متأخرة. صُعقت "حنين" ووافقت على الفور، فهي تريد أن تطمئن على والدها وأن يكون بصحة جيدة، فهل سيفارقها هو أيضًا وتصبح وحيدة؟ كانت تجلس بجانبه في المشفى طوال الوقت ولم يجف دمعها من على وجنتيها، حتى أجرى العملية بسلام ودخل إلى العناية المركزة حتى تستقر حالته.

كانت "عشق" تذهب إلى شقيقتها - بعدما أرهقت من العمل وارتفع ضغطها وأمرها الطبيب بالمكوث في المترل حتى ترتاح قليلًا وتجلب لها الطعام حتى يتناولاه معًا وتهون عليها قليلًا، فمهما يكن هي شقيقتها وتوأم

روجها. دقت "عشق" جرس المنزل وانتظرت قليلًا حتى تفتح لها شقيقتها، ولكنها لم تفتح. تذكرت "عشق" بأن معها نسخة مفتاح للمنزل، وقامت بفتح الباب، دلفت إلى غرفة شقيقتها ووجدتها على الأرض، فقد وقعت مغشيًّا عليها، خافت "عشق" وأمسكت بكوب ماء ووضعت القليل على يدها ثم وضعته على وجه شقيقتها حتى أفاقت. أسندتها "عشق" حتى الفراش وسألتها: ما الذي ألقاها هكذا؟ ظلت "حنين" تنظر لها وهي تبكي وقالت برجاء:

- ممكن يا عشق تفتحي الأدراج دي وتطلعي كل اللي فيهم وتحطيه على المكتب ده؟

لم تفهم "عشق" ذلك الطلب الغريب، ولكنها أذعنت لأوامر شقيقتها وعندما انتهت قالت:

- أهو حطيتهم على المكتب.

- أنا عارفة إني عشت حياتي كلها غلط، عارفة إني حققت كل حاجة نفسي فيها. نجاح وفلوس وعربية وسفر وحياة كويسة، كنت والله سعيدة بيهم، بس مش سعادة دايمة، أنا دلوقتي زي ما إنتِ شايفاني عاجزة مش قادرة أتحرك من كتر التعب، مفيش حد يسندني، بابا وفي المستشفى، وإنتِ ليكي حياتك، تفتكري أنا ليا إيه؟

صمتت برهة وقالت بمرارة:

- مليش أنا عارفة.

قالت وهي تُشير على المكتب الذي وضعت عليه "عشق" الكثير من الأوراق:

- الورق ده، نجاحي اللي حققته الفترة اللي فاتت كل ده ورق أبحاث وشهادات تكريم وتصميمات.

صمتت قليلًا وهي تبلع غصتها وقالت ببكاء مرير تدمع له الأعين:

- كل ده مافدنيش في حاجة وقت ضعفي وعجزي، كل الورق ده ميسواش كلمة ماما من عيل صغير شبهي وتكون روحي فيه. آه والله.

لم تتحمل "عشق" رؤية شقيقتها هكذا، أشفقت عليها وقررت أن تسامحها، فقد تدمرت بما تحمله الكلمة من معانٍ. أخذتها في حضنها وظلت تُربت على ظهرها بحنو وقالت:

- أنا معاكي يا حنين ومش هسيبك، أنا أختك وسندك وقت ضعفك، أنا بحبك وهفضل جمبك، مش عاوزة أشوفك كده تاني. إنتِ لسة صغيرة والدنيا قدامك طويلة، إفرحي وإتبسطي وعيشي. عودي نفسك على الفرحة عشان تتعود هي عليكي، إدي نفسك أمل كل يوم، إفرحي باللي معاكي عشان ربنا يرزقك أكتر مما تتخيلي.

صمتت برهة ثم قالت بابتسامة محاولة إسعادها:

- تعرفي بقا محدش هيسمى البيبي غيرك إنتِ.

احتضنتها "حنين" أكثر، فها قد عادت إليها شقيقتها بعد رحلة طويلة من العذاب.

لقد غمرتها بالحب والسعاد، افتقدتهما منذ فراقهما لبعضهما البعض. ودعت الله أن يديمها في حياتها نعمه. فما أجمل تلك اللحظة التي يعترف فيها المخطئ بخطئه! وما أجمل أن تكون الفرصة أمامه لتعويض ما خسره! فالحياة أقصر من أن نعيشها في تعاسة وحزن.

***

بعد مرور عام.. تحسَّنت حالة "شريف" كثيرًا وخرج من المشفى بصحة جيدة. كانت "عشق" قد وضعت مولودتها، وأطلقت "حنين" عليها اسم "تقى". كان الجميع سعيدًا بتلك المولودة التي أنارت لهم حياتهم جميعهم بلا استثناء، بكى "شريف" حينما رأى تلك المولودة الصغيرة التي تشبه ابنته كثيرًا، رآها بملامح "عشق" وهي صغيرة. لم تتركها "حنين" وظلت ترعاها طوال الوقت حتى خرجت شقيقتها من المشفى. كانت "حنين" قد أعلنت عن افتتاح شركتها الجديدة، وأصبح لها اسم بالشرق الأوسط. لم تُغير شيئًا في حياتها، بل قررت أن تكون سيدة نفسها.

مرت الأيام حتى جاء اليوم المنشود.. وهو يوم سبوع المولدة "تقى"، كانت الزينة معلقة بكل مكان، والبلالين بكل أشكالها وألوانها، والبهجة تملأ المكان والقلوب. كانت "حنين" من صممت كل هذا وغيرت في ديكور المنزل، وساعدت شقيقتها حتى تعطيها قسطًا من الراحة. بدأ الزوار بالإقبال وكان كلٌ من "شريف" و "آسر" يستقبلانهم بابتسامة نابعة من القلب. كانت "حنين" ممسكة بيد الهون وهي تقول بابتسامة:

– اسمعي كلام أمك وما تسمعيش كلام أبو كي.

وما إن سمع "آسر" تلك الجملة حتى ذهب إليها وأخذ منها الهون وهو ينظر في عين "عشق" بتحدٍّ:

– اسمعي كلام أبوكي وما تسمعيش كلام أمك.

وظلوا على هذه الحالة حتى جاءت إحدى الزائرات وأخذها "شريف" وذهب بها لتسلم على "عشق" التي ما إن رأتها لم تتركها وظلت ممسكة بها غير مصدقة أنها أخيرًا قد رأتها. ذهبت إليها "حنين" بأمر من والدها وهي مطأطئة رأسها، واحتضنتها وهي تعتذر لها عمّا بدر منها بالمكتب، كما أنها اعتذرت ل "زياد،" ولأن قلوبهما بيضاء ويحبانها فقبِلَا اعتذارها على الفور. امتلأ المكان بالزغاريد وأمسك الأطفال بالشمع، وظلوا يلتفون حول الطاولة بسعادة التي به المنخل الذي يحمل "تقى" وهم يغنون:

– يا رب يا ربنا تكبر وتبقى أدنا تلعب وتجري زينا وتبقى أشطر مننا.. بريلا بريلا برليلا ضحكة أمه وفرحة أبوه.. أصغر واحد في العيلة رشوا الملح عليه وارزوه.

عمّت السعادة بين الجميع. كانت أعينهم تلمع ببريق السعادة، فقد دخلت "تقى" حياتهم حتى تهون عليهم وتكون مصدر سعادتهم. فها هي طفله تملأ البيت بابتسامتها التي ورثتها عن والدتها.

وأصبح للكل مهام جديدة، بعزيمه أشد وأقوى، وبأفكار جديدة يودون لو يعودون للعشرينيات مرة أخرى حتى يصلحوا كل ما أفسدوه. فما أجمل أن نرى الحياة بمفهومها الصحيح!

ما بعد النهاية

(34)

كانت "تقى" منصتة جيدًا لوالدتها وخالتها، وعلى قدميها قطتها الصغيرة ذات اللون البني والعينين العسليتين، وكانت "تقى" تُمسِّد على ظهر تلك القطة طوال الوقت. انتهت كلٌّ من "حنين" و"عشق" بالإجابة عن سؤال "تقى" عبر روايتهما لها قصة حياتهما الذي كان:

– هو ليه دايمًا في صراع بين العقل والقلب؟

ظلت "تقى" شاردة لبعض من الوقت تفكر فيما قالتاه لها، ثم قالت موجهة سؤالها ل"حنين":

– لو رجع بيكي الزمن كنتي هتصلحي حاجات كتيرة في حياتك، ولا إنتِ سعيدة إنك عشتي كده؟

نظرت لها "حنين" بابتسامة لنباهتها، ثم نظرت إلى الطيور المحلقة في السماء بحرية وأردفت قائلة:

– أنا عارفة اللي أنا هقوله ده صعب عليا أووي إني أفتكره تاني، بس لازم أقول. أنا عشت حياتي كلها هدفي حاجة واحدة الشغل، كنت فاكرة

إن بشغلي هقدر أحقق كل أحلامي ويبقى معايا فلوس كتيرة، وأقدر أعمل اللي أنا عاوزاه، أنا أيوه حققت كل اللي نفسي فيه بس السؤال اللي دايمًا بسأله لنفسي، بعد ما حققتي كل اللي نفسك فيه يا حنين عملتي إيه في حياتك؟

دمعت عيناها ثم أكملت قائلة:

- ما عملتش حاجة، الفلوس موجودة والشغل موجود، بسّ ملهوش طعم زي الأول، عارفة لما تبقي مريضة وماتلاقيش حد حواليكي يساعدك أو حتى يقف جنبك، ساعتها بس هتكرهي نفسك، وشغلك، وكل الفلوس اللي معاكي. أنا معايا شهادات بالأكوام بس بمعنى الكلمة ولا تسوى ليا أي حاجة جنب إني أشوف ابني مبسوط وسعيد وبيقول لي يا "ماما"، نفسي بس أسمعها وبعد كدة مش عاوزة حاجة من الدنيا، عاوزة دي آخر كلمة أسمعها قبل ما أموت عشان ساعتها هموت وأنا سعيدة.

دمعت أعينهم وتأثروا بشدة على أثر حديثها.

- لو رجع بيا الزمن أكيد كنت فكرت مليون مرة قبل ما أعمل كدة وأفكر بالطريقة الغبية دي.

لم تقاوم "تقى" دموع خالتها، فارتمت في حضنها وظلت تربت على ظهرها بحنو، كانت "حنين" مغمضة العينين، فهمست "تقى" في أذنها:

- بحبك يا ماما.

ابتسمت هي على آثر وقوع تلك الجملة مسامعها، فاستقبلتها بسعادة. جلست "تقى" مرة أخرى ونظرت إلى والدها ثم قالت:

- وإنتِ يا ماما لو رجع بيكي الزمن كنتي هتغيري من نفسك، ولا شايفة إن حياتك صح؟

- زمان كنت لما كنت في الجامعة كنت العيلة الطايشة الستايلش اللي ماشية مع الموضة، كانوا دايمًا مدلعني في البيت عشان أنا آخر العنقود، ومتأكدة إنهم كانوا بيعوضوني عن أمي الله يرحمها.

امتلأت عيناها بالبكاء أثر تذكرها لوفاة والدتها التي لم تَرَها سوى في الصور، وأكملت قائلة:

- كان أسلوب حياتي كله غلط في غلط أنا بعترف بكده، ولو رجع بيا الزمن كنت التزمت من بدري، وما كانش في مانع إني أشتغل بردو ويبقى ليا شخصيتي وأحقق حاجات كتيرة كان نفسي أحققها.

ثم قالت مقهقة:

- البركة في باباكي اللي قعدني في البيت أول ما خلصت الجامعة.

نظرت تقى خلفها فرأت والدها قادمًا ليجلس معهم وهو يقول:

- بتنمو عليا تقولوا إيه؟

ضحكوا جميعًا لأن آسر له حاسة خاصة، يأتي عندما يتحدث أحد عنه. ظلت "تقى" تنقل النظر بينهم ثم قالت:

- أما أمركم غريب بجد، يعني اللي عاشت بعقلها مش سعيدة واللي عاشت بقلبها بردو مش سعيدة!

صمتت لبرهة ثم قالت:

- ده فعلًا صراع لا ينتهي.

جاء جدها "شريف" على تلك الكلمة وقال:

- مين قال إنه صراع لا ينتهي؟ العقل والقلب يا بنتي زي ما بيقولوا إنه وجهين لعملة واحدة، محدش في الدنيا يقدر يستغنى عنهم، لازم يبقى عندك القدرة إنك تتحكمي في نفسك وفي مشاعرك. وازني بين قلبك وعقلك، ما تحرميهمش من حاجة. لو في فكرة معينة في دماغك ومش عرفة تفكري فيها بأي طريقة، فكري بقلبك وعقلك مع بعض عشان يديكي نتيجة كويسة وتكونى إنتِ راضية بيها. أديكي سمعتي عن التجربتين، الواحد لما يختار إن أسلوب حياته يمشي بطريقة واحدة حياته بتبقى مملة وبتتعبه هو مش حد غيره، ولما يعيش موازن في كل حاجة، هيلاقي حياته ماشية صح. باختصار كده يا بنتي حبي من كل قلبك وبكل عقلك.

وفي النهاية اللهم إنا نعوذ بك من التشتت، تشتت العقل والقلب وعدم وضوح الغاية، وضعف العزيمة، ومن تشابُه الطرق وكثرة الالتفات، ولا تحرمنا من العلامات.

***

شكر خاص

إلى ملهمتي ورفيقة دربي، إلى من أعطتني الأمل والتفاؤل، إلى من شجعتني ووقفت بجانبي ولم تَملّ، إلى من علمتني أن السعادة قرار، قرار ينبع من داخل الإنسان وألَّا ينتظرها من أحد أن يقدمها له. إلى منبع الأفكار والخواطر، لا أعرف كيف يمكن للكلمات أن تعبر عمَّا يجول بخاطري، عَجزتُ عن التعبير. ولكن أُقدِم فائِقَ الشُكرِ والتقدير لكِ يا سمية.. سمية أحمد.